Epidemics in Egypt from the Second Intermediate Period until the End of the Amarna Period

Moheeldin Alnadi Abu Elez

Abstract

The present study provides an analysis and explanation of the political, social, economic and religious changes that occurred in Egypt from the second intermediate period until the end of the Amarna period. This study argues that the reasons of these changes are due to the spread of an epidemic that affected Egypt and many regions in the Near East, as well as it aims to discuss the reasons and how it moves to Egypt, the precautionary measures to confront the epidemic, and the quarantine system imposed by Amenhotep III and Akhenaten on some areas of the spread of the epidemic, as it refutes ancient texts, known as the plague Prayers of Muršili II, reveal that this deadly epidemic was brought by Egyptian prisoners of war taken to the Hittite capital city.

Keywords: Epidemics, Plague, Malaria, Egypt, the Second Intermediate Period, the Amarna Period.

الأوبئة في مصر منذ عصر الانتقال الثاني حتى نهاية عصر العمارنة

محيي الدين النادي أبو العز

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر

المُلخص

تُقدم الدراسة الحالية تحليلاً وتفسيراً لبعض لمُتغيرات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية التي حدثت في مصر منذ عصر الانتقال الثاني حتى نهاية عصر العمارنة، كما تتناول أسباب هذه المُتغيرات وترجعها إلى انتشار وباء أثَّر على مصر، ومناطق عديدة في الشرق الأدنى. كما تهدف الدراسة إلى مناقشة أسباب انتقاله لمصر، والإجراءات الاحترازية لمواجهة الوباء، وتعرض لنظام الحجر الصحي الذي فرضه الملك أمُنحتب الثالث، وأخناتون على بعض مناطق انتشار الوباء، كما تفند الدراسة الرواية الحيثية (صلاة الملك مرشيلي الثاني) التي تتهم مصر بأنها سبب انتقال الطاعون إليها.

الكلمات المفتاحية: الأوبئة، الطاعون، الملاريا، مصر، عصر الانتقال الثاني، عصر العمارنة.

المقدمة

لم يحظ موضوع الأمراض والأوبئة وانتشار الجوائح في العصور القديمة بنفس الاهتمام الذي حظيت به الأحداث السياسية والعسكرية، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالعصور القديمة، وقد يكون المُبرر أن الجيل السابق لم يشهد تفشي وباء كبير- باستثناء بعض المناطق النائية من العالم- لذا وجد صعوبة في تصور تأثير الوباء على المجتمع أو المنطقة. وفي ظل ما يُعانيه العالم من جائحة كورونا يجب أن تحظى الأمراض والأوبئة باهتمام واسع لدراستها؛ كي يتم الاستفادة من طرق المقاومة وآليات الشفاء. لذا تُسلط هذه الدراسة الضوء على الأوبئة في مصر القديمة خلال عصر الانتقال الثاني حتى نهاية عصر العمارنة.

وعلى الرغم من أن الكتاب المقدس في أسفاره الأولى[1]، أكد أن مصر عانت من بعض الأوبئة، وهو ما أكده القرآن الكريم[2]، فإن السجلات الأثرية والأدبية المصرية لم تتطرق صراحةً لمثل تلك الجوائح والأوبئة، ويرجع ذلك إلى طبيعة المفاهيم المصرية القديمة في معالجة الأحداث التاريخية[3]. فلم يكن هناك زخم كبير لوصف كارثة، أو الإبلاغ عنها بمجرد وقوعها، وكان من المُمكن تفسير حدوث الوباء على أنه توغل للفوضى في العالم المُنظم، أو على أنه لعنة إلاهية كعقاب لتجاهل أو الإساءة إلى المعبودات[4].

فضلاً عن أن الإشارات إلى الوباء في اللغة المصرية أمر مُختلف عليه، وغير واضح بدقة؛ فيذكر البعض أن التعبيرين *ldw* و*i3dt* يشيران إلى الوباء[5]، على الرغم من أن البرديات الطبية لا تُشير لأي من هذين المصطلحين كمصطلحات طبية، ولما كانت هذه الأوبئة تنتشر عبر الهواء، ربما اعتقد المصريون أن الهواء الليلي الرطب (*i3dt*) مرتبط بالوباء، لا سيما أن البرديات الطبية تذكر التعبير *i3dt rnpt*، الذي يقترح "فوكنر" بأنه يُشير إلى "الطاعون/ الوباء" [6]، ويُضيف "Leitz" أن العدوى الأولية لـ*i3dt rnpt* هي "الطاعون الدبلي (Yersinia pestis)" [7]، في حين يرى "Sass" أنه مُصطلح يُشير إلى الوباء بعد الغمر النيلي السنوي، ولا يُشير إلى مرض واحد؛ بل يشمل مجموعة من

العدوى التي حدثت في وقت واحد نتيجة لفيضان النيل[8].

علاوة على ما سبق، فإن المصادر الأدبية تُقدم إشكالية في طرح هذه القضية، فلا تُقدم البرديات الطبية أي دليل واضح على الأمراض الوبائية، حيث يتم سرد أعراض المرض بدلاً من نسبها إلى مرض محدد، كذلك فإن بعض الكلمات والعبارات الواردة في تلك البرديات مثل "أورام خونسو"، تطرح صعوبات كبيرة في الترجمة، ومن ثم لا يُقدم الأدب المصري رواية تاريخية عن الطاعون أو وباء آخر، ربما لا يكون هذا الإغفال مفاجئاً؛ لأنه ببساطة لم يُكن القصد من تلك النصوص سرد أحداث تاريخية مهما كانت كبيرة، في حين كان الثناء على الإنجازات المحلية والأجنبية للفرعون هو الهدف الرئيس لتسجيل بعض الأحداث، ومع ذلك قد تبقى في الذاكرة الشعبية لفترات طويلة الأحداث المدمرة المرتبطة بالأوبئة، ففي "تعاليم إيبور" يصف كيف حدث تفكك في المجتمع المصري خلال عصر الانتقال الأول؛ نتيجة لانتشار الفوضى، والعنف، والسطو، والقتل، والتسلل الأجنبي، والمجاعة، والمرض[9].

ومن ثَم لم تشهد مصر التوثيق الذي شهده بعض الأوبئة عبر العصور مثل[10]: الطاعون الأثيني في اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد؛ والطاعون القبرصي في الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي، والوباء الذي أصاب شرق البحر المتوسط خلال عهد "جستنيان" في القرن السادس الميلادي، وطاعون "عمواس" خلال القرن السابع الميلادي، والموت الأسود الذي قتل أكثر من ربع سكان أوروبا خلال العصور الوسطى[11].

ومن ثم كان انتشار الأمراض الوبائية موضوعاً لتكهنات العديد من علماء الآثار، واللغة، والأنثربولوجيا، وعلم البيئات القديمة، والحشرات، للبحث عن بعض الأدلة التى يُمكن أن تُشير إلى الأوبئة في العصور الفرعونية، التي أَخبر عنها العهد القديم[12]، لا سيما أن التحقيق في عدد قليل من البقايا البشرية لتأكيد أو دحض وجود هذه الأمراض- التي كانت في الغالب من مقابر النُخب- تُقدم صورة غير متوازنة لأنماط الأمراض، خصوصاً إذا وضعنا في الاعتبار أن معظم مؤشرات الأمراض الوبائية لا تترك أثراً محفوظاً على

البقايا البشرية[13]، وعلى الرغم من ذلك، قد يُؤدي التحنيط إلى حفظ بعض الأدلة على الأمراض التي لا تترك أي أثر، ومن ثَم فقد تم؛ ملاحظة وجود بعض الأمراض؛ مثل: الجدري، والسُل، والملاريا، وشلل الأطفال، والبلهارسيا، على المومياوات المصرية[14].

الوباء خلال عصر الانتقال الثاني

على الرغم من أن المصادر الأثرية والأدبية لا تُشير -بشكل مباشر- إلى الأوبئة في مصر، فإن العديد من العلماء ناقش مدى إمكانية ظهور الأوبئة خلال عصر الانتقال الثاني، لا سيما أن بردية "إبريس الطبية" - التي يعود تاريخها إلى حوالي 1550 قبل الميلاد، وربما تم تجميعها في وقت سابق-[15] تُشير إلى بعض الأوصاف[16]، ربما تتفق مع إمكانية وجود عدوى لوباء اختلف في طبيعته؛ ففي الوقت الذي اعتبره البعض أنه "الطاعون الدبلي" [17]، شكك آخرون في ذلك، وافترضوا أن المرض كان أكثر تشابهاً مع "التيفود" [18]، في حين ذهب آخرون إلى أنه مرض "التولاريميا "Tularemia[19]، بينما اعتبره البعض الآخر بأنه الملاريا، ومع ذلك رجَّح "جيوري Győry " أن الأمراض المذكورة في بردية "إدوين سميث" [20] يُمكن تطابقها مع ثلاثة أمراض موجودة في بردية "إبريس" ومصادر أخرى، التي قد تصف أنواعاً مختلفة من الأمراض الحموية المتوطنة المعروفة مثل حُمى الضنك[21].

على كل حال فإن المعلومات المُتاحة حول هُوية المرض غير واضحة -على أساس بردية "إبريس" وحدها- بينما يُمكن تقديم معلومات أكثر تحديداً بشأن المنطقة المتأثرة بهذا الوباء[22] المحتمل.

وتُشير بردية "إبريس" إلى أن أصل هذا المرض هو "كنعان"؛ حيث يُشار إلى المرض باعتباره يرتبط بوضوح بشعب "العامو *ʿAmu*" وهم السُكان المُستقرين في المناطق الناطقة بالسامية في سوريا وفلسطين، ويذكر "جوديكه "Goedicke أنه:

"يمكن تأريخ هذا المرض في القرن السابع عشر قبل الميلاد، والأمر الذي

يُشير إلى خطورة المرض أن معالجته كانت في شكل "تعويذة"، وعلى الرغم من أنه قد يميل الطب التجريبي الحديث إلى تجاهل مثل هذه "التعويذات" باعتبارها شعوذة لا معنى لها؛ لأنها ببساطة لا تُقدم ميزات علاجية، فإنه مع ذلك يُمكن أن يتم استخدام التعويذات بشكل أساسي عندما كانت الحالة خارجة عن القدرات التجريبية للطبيب القديم، ويبدو أن هدفهم الرئيس كان نفسياً وليس طبياً، فتهدف التعويذة إلى مساعدة المريض على مواجهة الألم الناجم عن مرض كانت نتيجة الشفاء منه مشكوكاً فيها في أفضل الأحوال، وفي معظم الحالات مميتة بشكل لا يُمكن الهروب منه تقريباً" [23].

ومن ثم يُمكن اعتبار هُوية المرض مُؤكدة، ومُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمناطق الكنعانية من خلال الإشارة إليه باعتباره "المرض الكنعاني/ الفلسطيني"، وتفترض هذه العبارة أن الوباء كان منتشراً في المناطق الكنعانية قبل ظهوره على الحدود المصرية[24]، وربما كان انتشار هذا الوباء في بلاد الشام يُفسر أسباب انهيار المراكز الحضارية في نهاية العصر البرونزي المبكر (EB IV)، وكذلك أسباب الهجرة الواسعة للقبائل من بلاد الشام إلى مصر، من حوالي 1750 قبل الميلاد وما بعدها، وترك الإقامة في فلسطين، وما تلاها من تقدم نحو مصر من أجل البقاء؛ ومن ثم، فإن بدايات تلك التطورات يُمكن أن نشاهد انعكاسها في رواية الكتاب المقدس لقصة يعقوب ويوسف[25]، (عليهما السلام).

ويُناقش عدد من العلماء بعض الشواهد التي تُشير إلى إمكانية انتقال هذا الوباء إلى مصر بعد أن انتشر في مناطق واسعة في شرق البحر المتوسط، ومنها انتقل إلى شمال شرق الدلتا بالقرب من "أفاريس" حوالي 1520 قبل الميلاد، فلا يُمكن أن يكون من قبيل المصادفة أن علماء الزلازل قد حددوا أن زلزالاً كبيراً وقع في منطقة "ثيرا" حوالي1550 قبل الميلاد، والذي يتزامن مع التدمير الكبير لقصر "كنوسوس" نتيجة لنشاط بركاني أدى إلى ارتفاع منسوب البحر المتوسط، ووصوله إلى محيط أفاريس، لذلك فإن الربط بين أحداث ارتفاع منسوب البحر من فيضان، ونشاط بركاني، ووباء الطاعون الذي ينعكس في بيانات "برديّة ريند الرياضية" التي ربما تُؤرخ في السنة الحادية عشرة لملك

يُفترض أنه "خامودي" آخر حكام الهكسوس، الذي كان من المؤكد إقامته في الدلتا؛ حيث تذكر "بردية ريند" أنه سُمع صوت المعبود "ست"، وفي اليوم التالي حدث هطول الأمطار خلال الصيف، وقد فُسر ذلك -مراراً وتكراراً- أنه يتعلق بعاصفة رعدية، إلا أن "جوديكه" يرفض هذا التفسير، ويقترح أن الرعد والمطر المفترضين حدثاً في أيام مختلفة؛ ومن ثم يجب فهم الأحداث على أنها تتعلق بسماع انفجار بركاني ووصف لسقوط الحمم في الدلتا[26]. وهو ما أكده "Trevisanato" حيث يذكر أن بردية "لندن الطبية" توفر ستة علاجات للحروق تتعلق بتداعيات بركانية في مصر؛ ومن ثم يُمكن ربط النص الطبي بثوران بركاني في بحر إيجة، يُمكن تأريخه إلى حوالي 1627 قبل الميلاد؛ الأمر الذي يُفسر وجود آثار للرماد البركاني المنتشر في مصر[27].

وإذا تم الربط بين ما ورد في "بردية ريند" من ظهور المعبود "ست" إلى جوار "رع"، وكذلك تكرر في بردية إبريس -وحديث الأخيرة عن تحول الجثث إلى فحم- وفي تعويذة المرض الآسيوي، يُمكن تحديد بؤرة الوباء المحلية في مصر، حيث كان كلا المعبودين عُبدا بشكل خاص في الدلتا، فقد كانت الدلتا هي مسقط رأس المعبود "ست"، في حين كان الفرع الشرقي لنيل يُسمى "مياه رع"؛ ومن ثم فمن المنطقي أن الوباء أثر على شرق دلتا؛ ومن ثم فإن ذكر "ست" المرتبط بالبحر المتوسط يُدعم أن المنطقة المتضررة كانت الدلتا، باعتبارها نافذة مصر على البحر المتوسط، لا سيما أن ست في شكله السامي كان هو "بعل" معبود البحارة عند الكنعانيين، كذلك يُمكن تفسير وصف بردية إبريس بأن المعبود ست قام بصد البحر المتوسط في إشارة مجازية إلى صده للمرض، مما يمنعه من الانتقال من جسد إلى آخر[28].

وتُقدم الأدلة الأثرية بعض الشواهد التي يُمكن الاستدلال منها على الفترة الزمنية لانتشار الوباء؛ فقد اكتشف "مانفريد بيتاك Manfred Bietak" في أنقاض أفاريس في تل الضبعة في شرق دلتا، بعض الأدلة على وجود وباء، ومنها أن مستوطنة من الأسرة الثالثة عشرة في تل الضبعة تم التخلي عنها جزئياً نتيجة لوباء[29]، كما تحتوي "الطبقةG/ F" من أفاريس على عدد كبير من المقابر الجماعية، التي تُشير إلى عمل مُتسرع؛ مما يعكس حالة

الطوارئ الموجودة خلال وباء الطاعون، ويُمكن تأريخهم قبل البداية الأسرة الرابعة عشرة بوقت قصير[30]. بالإضافة إلى أن معظم المقابر لا تحتوي على لُقى جنائزية[31] الأمر الذي يُفسره "بيتاك" دليلاً على تفشي وباء قاتل[32]، وهو الذي أكده "بوزنيك Boessneck" عندما وجد بقايا فأر أسود في تل الضبعة يُؤرخ إلى 1700 إلى 1600 قبل الميلاد[33]. في إشارة إلى وجود الطاعون.

ومن الجدير بالذكر أن الوصف المصري مطابق تقريباً للوصف العبري المذكور في الكتاب المقدس، لا سيما إذا وضعنا في الاعتبار أن التقليد اليهودي يُصر على أن أسلافهم العبرانيين استقروا في شرق الدلتا[34]، ومع ذلك من أجل التوصل لتطابق كامل بين المرضين –الوارد في الكتاب المقدس وبردية إبريس– نحتاج إلى إظهار أن العبرانيين عاشوا بالفعل في المنطقة المتأثرة بالوباء في وقت حدوثه.

فقد كان هناك موقع يُدعى "Ptn"، ربما تم نطقه "Piton" (ويُسمى "بيثوم Pithom" في السجل العبري) وكان موجوداً في شرق الدلتا، في وقت مبكر من عام 1950 قبل الميلاد[35]، ويأتي تأكيد وجود المستوطنة العبرية من وثيقة مصرية تضع العبرانيين في الدلتا في وقت انتشار الوباء في أفاريس[36]، ومن ثم فإن الربط بين الأدلة الكتابية وإشارات التى تتضمنها بردية إبريس، وما عُثر عليه في "الطبقة F" من أفاريس، التي يعود تاريخها إلى حوالي 1710 – 1680 قبل الميلاد، وتمتد إلى جيل الوباء، وتظهر التشابه مع المراكز الحضارية في سوريا وشرق الأردن؛ ومن ثم وجود الآسيويين في شرق الدلتا في ذلك الوقت[37]، يُؤكد انتقال الوباء إلى مصر.

علاوة على ما سبق فإن العوامل الجغرافية ساعدت على تفشي انتشار الوباء في منطقة أفاريس؛ فقد بنيت المدينة على طول الطريق الذي يربط مصر بسوريا وبلاد الرافدين في أقصى شرق الدلتا، وإلى غربها كانت الدلتا الخصبة، وشرقها كانت السهوب والمستنقعات والصحاري التي تُشكل الحدود إلى شبه جزيرة سيناء التي يسكنها البدو، وشمالها كان مصب النيل حيث البحر المتوسط والانفتاح على العديد من الشركاء التجاريين لمصر، وجنوبها كانت هناك قناة مملوءة في بعض الأحيان بالرمال، وربطت الدلتا من خلال

الأهوار على طول الطريق إلى البحر الأحمر[38].

ومن ثَّم قام التُجار والجنود والبدو من مناطق عدة مثل بلاد الشام، وقبرص، وجزر بحر إيجه بزيارات منتظمة إلى المدينة[39]؛ الأمر الذي يُفسر كيف انتقل المرض إلى أفاريس بسهولة[40]، هذا بالإضافة إلى الواقع الاجتماعي والسياسي القاسي؛ حيث كانت الحكومة المركزية ضعيفة؛ فقد استمر ملوك الهكسوس في فرض الضرائب[41]، خصوصاً إذا وضعنا في الاعتبار أن الوباء الذي انتقل إلى أفاريس كان كافياً لأن يدمر الاقتصاد عن طريق شل الميناء الرئيس للمدينة[42].

ومما سبق يتضح أن اللاجئين والفارين من أفاريس كانوا ينشرون الوباء في أماكن أخرى، ونتيجة لذلك كان من المُمكن أن يتفاقم الوضع الاجتماعي والسياسي في ذلك الوقت على المستوى المحلي، ومن الجدير بالاهتمام أن العواقب الاجتماعية والسياسية للمرض تُمكننا من تحديد العامل المُسبب للمرض، فالأوضاع الصحية المتردية التي وصلت إليها المنطقة خلال العصر البرونزي، المتمثلة في النظافة الصحية والشخصية السيئة، أدت إلى انتشار الوباء الذي أودى بحياة كثير من الناس في منطقة أفاريس حوالي عام 1715 قبل الميلاد[43]. فقد أشارت الدراسات الأنثروبولوجية إلى أن سكان أفاريس عانوا من العديد من المشكلات الصحية، وأن مناعتهم المُنخفضة الناتجة عن ذلك من شأنها أن تُسهل الانتشار السريع للوباء (المرض الآسيوي)[44].

وبناء على ذلك فإن هناك بعض الإشارات في المصادر الأثرية والأدبية التي تقدم صورة تتناسب مع ما ورد في النصوص الكتابية، وتصف وباء قاتل ضرب أفاريس، انتقل بواسطة المتنقلين بين كنعان ومصر، فقد كان من المُمكن أن يتعرض التجار للعض واللدغات في الصحراء، من خلال القوارض التي كانت تعيش حول الآبار المُنتشرة على طول الطريق الصحراوي المُتجه إلى أفاريس، كذلك يُمكن للقوارض الموجودة على متن السفن أن تدخل ميناء أفاريس وتنقل الوباء أيضاً[45].

ويذكر " جوديكه Goedicke " أن هذا الوباء قد انحصر في عهد أمُنحتب الأول،

وهو -ربما- ما يُفسر أسباب عدم تقدم أحمس -من قبله- إلى فلسطين بعد سقوط "شاروحين" بسبب انتشار تلك الجائحة، ومن ثم فإن عدم تقدم أمُنحتب الأول في بلاد الشام قد يبدو كردة فعل على الظروف السائدة، وإذا حكمنا من حالات لاحقة من الحجر الصحي المفروض ذاتياً لتجنب الاتصال بالمناطق المصابة بالوباء، فقد يبدو أن أمُنحتب الأول امتنع عن أي نشاط على الأرض الآسيوية لتفشي الوباء (الطاعون)[46].

الأوبئة خلال عصر العمارنة

يُعد عصر العمارنة من المراحل المحورية في تاريخ مصر، التي جذبت اهتمام العديد من الدارسين؛ لما شهدته من تحولات سياسية ودينية، كما شهدت بداية فترة تراجع النشاط العسكري المصري الخارجي، وقد عزا العديد من العلماء أسباب هذا التراجع إلى توجهات أمُنحتب الثالث السلمية، واهتمامات أخناتون الدينية، وتُعتبر هذه الأسباب هي النظرة التقليدية للعديد من الدراسين عند معالجة تلك الفترة، وهذه النظرة لا يتفق معها الباحث؛ حيث يتضح من رسائل العمارنة أن الملك أمُنحتب الثالث وأخناتون لم تنقطع تواصلاتهما وتفاعلاتهما مع أحداث دول المدينة في بلاد الشام، وكانوا قادرين على تنفيذ أوامرهم[47]، ولكن صورة الملك المحارب التي شوهدت في ملوك الأسرة الثامنة عشرة الأوائل اختفت مع عصر العمارنة، ويُمكن تبرير ذلك لسبب كان خارج القدرات البشرية، وهو انتشار وباء اجتاح منطقة الشرق الأدنى القديم، وأثر تأثيراً مباشراً على مصر، وفيما يلي ستقدم الشواهد التي يُمكن الاستناد إليها للإجابة عن تساؤلات البحث حول أسباب وكيفية انتقاله لمصر.

أسباب انتقال الوباء إلى مصر ومظاهره خلال عصر العمارنة

1- زيادة التبادل التجاري الدولي

إن حركة التجارة والتفاعلات الدبلوماسية المصرية خلال عصر العمارنة، كانت موضوع للعديد من الدراسات[48]، فقد شهدت تلك الفترة نشاطاً تجارياً واسعاً لتبادل

الهدايا والزواج السياسي، بالإضافة إلى أن مصر انخرطت في التبادل التجاري، ليس مع دول البحر المتوسط فقط ، ولكن مع بلاد الشام وبلاد النهرين أيضاً، وهي المناطق التي نشأ منها هذا الوباء[49]. كما سنوضح أدناه؛ ومن ثم فقد كان التبادل التجاري عاملاً مؤثراً في نقل المرض إلى مصر عبر الوفود المصابة بالمرض (شكل 1).

2- نقص العمالة

تُسجل رسائل العمارنة شكوى العديد من الملوك العظام خلال عصر العمارنة من النقص الحاد في كميات الذهب المطلوبة من مصر (EA 7:71-72; 16:14-21; 27:32-33) [50]، ويُمكن تفسير ذلك بنقص في الذهب الذي يتم إنتاجه؛ على الأرجح بسبب نقص العمال المهرة الذين كانوا -في الغالب- يتم إيواؤهم في مستوطنات ضيقة على ضفاف النيل، وكانت هذه التجمعات السكانية المترابطة قريبة من الظروف المثالية التي يُمكن أن ينتشر فيها الطاعون، وذكر " T. Säve-Söderbergh " أنه كان هناك نقص واضح في عدد السكان في منطقة النوبة -مصدر إنتاج الذهب- من منتصف الأسرة الثامنة عشرة، كذلك فإن المقابر من عهد أمُنحتب الثالث فصاعداً كانت تتسم بفقر زخارفها الفنية بسبب قلة عُمال البناء المهرة[51].

وعندما تم الانتقال إلى تل العمارنة، انتقل إليها الآلاف من صغار المسؤولين، والجنود، والحرفيين، وغيرهم، ولا سيما أنه تم بناء تلك المدينة بسرعة وبطريقة لا تزال شاهداً رائعاً على قوة التنظيم الذاتي، وربما وصل عدد سكانها إلى حوالي عشرين إلى خمسين ألف شخص عاشوا داخلها في أماكن ضيقة[52].

وقد تبين لأعضاء بعثة من علماء الأنثروبولوجيا التابعة لجامعة أركنساس الأمريكية، والتي كان من أهدافها إعادة تجميع الهياكل العظمية؛ أن الأوضاع الصحية في مدينة العمارنة كانت متدهورة بشكل ملحوظ؛ حيث أظهرت نتائج الدراسة التي قاموا بها إلى عدم كفاية النظام الغذائي في مرحلة الطفولة؛ مما أدى إلى تأخر نمو الأجسام لبعض السكان، ووجود وفيات غير طبيعية بين السكان في أواخر سن المراهقة (ما بين 15 – 25

سنة)، وهو ما يتسق مع المصادر من شرق البحر المتوسط التي تتحدث عن انتشار وباء، بينما هذه الصورة تقف في تناقض ملحوظ مع النقوش التي رافقت عبادة آتون؛ فقد تم تزويد المعابد بالطعام على نطاق واسع، لا سيما أن المعبد هو المسؤل عن إعادة توزيع الإنتاج في المدينة، ويجب أن يكون الوباء قد عرقل استقراره[53].

3- الهجرة إلى المناطق الخالية من الطاعون

إن انتقال الملك أمُنحتب الثالث من قصره الملكي في الكرنك إلى موقعه الجديد في منطقة صحراوية في ملقطة[54]، جعل بعض العلماء يذهب إلى أنه كان لديه الرغبة في العثور على منطقة خالية من الطاعون للعيش فيها، لا سيما أن البناء بدأ حوالي العام الحادي عشر من عهده، وهو نفس الوقت الذي بدأت فيه "الفجوة" في تسجيل أحداث عهده، التي دامت 8 سنوات؛ مما يُدعم سبب بنائه له لمواجهة الطاعون[55].

ربما لاحظ أمُنحتب الثالث أن المناطق الخضراء مثل منطقة الكرنك على ضفاف النيل كانت مكان خصب لانتشار الفئران الناقلة للطاعون، في حين أن المناطق الصحراوية مثل ملقطة كانت أقل عرضة للطاعون، في نفس السياق عزا بعض العلماء التحول الديني والجغرافي المفاجئ الذي حدث في عهد أخناتون يرجع إلى الأمراض الوبائية[56]، خصوصاً أن زيارة الملوك للمدن والسفر منها خلال الاحتفالات الدينية كانت ممارسة اعتادوا القيام بها، ولكن أخناتون لم يفعل ذلك؛ فقد سافر وبقي داخل حدود مدينته الجديدة ولم يخرج منها، ومن المُرجَّح أن يكون هذا لحماية نفسه من الطاعون في مكان بكر مبني على أرض لم تُشغل من قبل، أو خصصت لمعبود آخر[57]، كما كانت أيضاً قصيرة العمر؛ حيث هُجرت بعد وقت قصير من وفاة إخناتون؛ أي بعد حوالي 12 سنة فقط من تأسيسها[58]، لا سيما أنه تم بناؤها على عَجل حيث بُنيت بين الأعوام 5 و 9 من حكمه، وتم بناؤها بالطوب اللبن بدلاً من الحجر، لتسريع البناء، فيما عدا المباني المهمة كان يتم بناؤها بالحجر المحلي[59]. والجدير بالذكر أن تلك الحالة تشبه بعض المباني في مدينة أفاريس.

4- الدفن الجماعي وتواضع الودائع الجنائزية

على الرغم من الثروة الضخمة التى حققتها مصر خلال حكم الملك أمُنحتب الثالث، فإنه عُثر على عدد من المدافن الجماعية بشكل ملحوظ خلال عهده، كما لو أن أصحابها قد ماتوا في توقيت واحد، وأن زخرفة حجرات الدفن وما شملته من ودائع جنائزية كانت متواضعة، ربما يرجع ذلك إلى نقص في عدد عمال البناء والفنانين المهرة، بسبب وفاتهم من الطاعون[60]. لا سيما أن "ريند Rind" اكتشف مقبرة في طيبة تؤرخ في السنة السابعة والعشرين من عهد أمُنحتب الثالث خلت غرفة الدفن بها من النقوش، عُثر بها على عدد من الجُثث، والتفسير الأقرب لذلك هو أن هذه الجثث تم التخلص منها بطريقة عاجلة في وقت سابق لأنهم ماتوا من الطاعون، ومن أمثلة المدافن الجماعية أيضاً مقبرة "يويا" و"تويا" في وادي الملوك غير المزخرفة بشكل كامل؛ مما يوحي بأنه لم يكن هناك وقت للتخطيط لها، أو أن عدد الفنانين المتاحين كان قليلاً جداً، ويشير كل من السيناريوهين إلى وقوع الوباء[61].

في السياق نفسه كشفت مقبرة العمارنة الجنوبية عن ارتفاع عدد المدافن الجماعية في إشارة إلى زيادة في عدد الأشخاص الذين ماتوا في وقت واحد[62]؛ مما يعكس وجود عدد من الأمراض المُعدية، مثل الملاريا التي تتسبب في إصابة الأفراد بأمراض الأخرى؛ مثل السُل والزُحار؛ مما يؤدي إلى زيادة في الوفيات بين السكان[63]، كذلك أظهرت الاكتشافات الأخيرة في المقبرة الشمالية لتل العمارنة المخصصة لغير النخبة (العامة) إلى أن المتعلقات الجنائزية للموتى كانت فقيرة؛ حيث استخدم الحصير فقط للف الجثث، وفقاً للدراسات التي أجراها "جريتشين دابس Gretchen Dabbs" في عام 2015م؛ إذا وجد أن أكثر من 90 % من الهياكل العظمية (من 105 أفراد) يُقدر أعمار هؤلاء بين 15 و25 عاماً، ومن ثم كانت هذه المقبرة مكان دفن للمراهقين، وحوالي 10 % أصيبوا بهشاشة العظام، و 16 % لديهم كسور في العمود الفقري، جنباً إلى جنب مع تشوهات أخرى عادة ما ترتبط بأعباء عمل يرتبط برفع الأحمال الثقيلة، وقد أظهر تحليل الحمض النووي

للهياكل العظمية في المقابر الشمالية أمراضاً أخرى قد تكون سبباً في وفاتهم[64]، كما سيتضح.

5- ارتفاع شأن المعبودات المرتبطة بالصحة والمرض والشفاء

تُشير الشواهد الأثرية إلى زيادة عبادة المعبودات المرتبطة بالصحة، والمرض، والشفاء خلال عهد أمُنحتب الثالث، حيث زاد الاهتمام بالمعبودة "سخمت" [65]، التي كانت معبودة الحرب والوباء، وبما أن أمُنحتب الثالث لم يكن لديه أعمال عسكرية كبيرة تجعله يامر بنحت حوالي 700 تمثال كبير لسخمت من إجمالي حوالي 2000 تمثال تم نحتها لكل المعبودات الأخرى؛ فربما مرجع ذلك لأنه كان يرغب في استحضار سلطاتها لحماية مصر من الطاعون من خلال دورها كمعبودة للوباء[66]، هذا بالإضافة إلى أنه قام بتوسيع معبده في منف، كما نال المعبود "بس"، حامي الصحة والمنزل ضد المرض، اهتماماً ملحوظاً في عهد أمُنحتب الثالث[67].

كما جعل أمُنحتب نفسه معبوداً قبل احتفاله بعيد "سد"، كل هذه الإجراءات ربما تُشير إلى نهج جديد لمساعدته في درء الوباء، لا سيما أنه يوجد في الكرنك تمثال لكاتب يُسجل كيف أن الملك أمر أمُنحتب ابن هابو- المسؤول الأكثر ثقة وقوة- بإجراء إحصاء لجميع كهنة آمون المتبقين، وملء الفراغ بعد غياب بعضهم نتيجة لحدوث شيء (الوباء) في جميع أنحاء مصر، علاوة على ما سبق فإنه يوجد دليل ديني أخر يُلقي الضوء على انتشار وباء (ربما الطاعون) وهو أن أخناتون قام بثورة دينية، عندما بدأ توحيد كل المعبودات مع المعبود آتون، ربما لأن المعبودات التقليدية قد خذلته، وكان يحاول -يائساً- إنقاذ مملكته من الطاعون، لا سيما بعد انخفاض عدد الكهنة التقليديين بشكل ملحوظ بعد موتهم بالطاعون، ومن ثم فلن تكون هناك معارضة أكبر لبدء الدعوة لدينه الجديد[68].

6- التغيرات الفنية في الأسلوب والجودة

تميز أسلوب الأعمال الفنية في عهد أمُنحتب الثالث بأنها كانت أكثر روحانية، فقد

تغيرت موضوعات مناظر مقبرته؛ ففي الجزء الأول منها ظهرت مشاهد تقليدية؛ مثل: صيد الأسماك والطيور، والمآدب الكبيرة مع العائلة، وفي وقت لاحق في عهده تغيرت المناظر إلى صور أكثر جدية وروحانية، ومشاهد للحداد تجمع الملك بأفراد أسرته بعدد محدود، كما صورت الحيوانات بعدد أقل؛ لأنه ربما تم إبعادها خوفاً من تسببها في نقل المرض، كما ارتفعت أعداد التوابيت الخشبية المطلية التي يُنفذها فنانون أقل مهارة من رسامي المقابر السابقين، والجدير بالذكر إن النقص في مستوى المهارة الفنية هو أمر يحدث في أوقات الأوبئة؛ في إشارة إلى موت رسامي المقابر، أو على الأقل انخفاض أعدادهم قبل عدة سنوات من نهاية عهد أمُنحتب الثالث، لا سيما أن رسامي المقابر عاشوا في دير المدينة التي دمرتها النيران في عهد أمُنحتب أو أخناتون، فإن كان رسامي المقابر في دير المدينة قد أصيبوا بالطاعون، فإن أفضل طريقة لتطهير الموقع هي تدميره بالنار[69].

7- زيادة الزواج

على الرغم من أن الملوك المصريين تجنبوا زواج المحارم، وكان من النادر جداً أن يتزوج الفرعون من ابنته، فإن أمُنحتب الثالث تزوج اثنتين من بناته، وهما الأميرة "سات آمون" و"إيزيس"، وعلى الرغم من أن معظم العلماء يفترض أن هذه الزيجات كانت مجرد زيجات رمزية أو احتفالية قام بها أمُنحتب خلال احتفاله بعيد "سد" [70]، فإن "Kozloff" تفترض أنه كان لديه سبب آخر للزواج من بناته؛ وذلك لاحتفاظ أفراد العائلة المالكة بمخزون نقي بعد وفاتهم بالطاعون، وسعيه إلى أن يجعل من نفسه معبوداً ليكون أكثر قبولاً للزواج من بناته اللاتي بلغن سن الإنجاب، بدلاً من الزواج من أخواته الأكبر سناً ممن لن يحملن؛ ومن ثم حول فكرة الزواج؛ من كونها زواج شهوة أو زنى محارم إلى مستوى أعلى بأنه المعبود الذي يقوم بواجبه الإلهي في ضمان بقاء مملكته وعائلته الملكية بعد كارثة؛ مثل انتشار طاعون الذي أودى بحياة الكثيرين[71].

في السياق نفسه فإن أمُنحتب لم يتوقف عند هذا الحد، فقد كان لديه زوجتان متباينتان "جلوخيبا" (تزوجها في عام العاشر)، و"تادوخيبا" (تزوجها في عام 36)،

وأميرتان بابليتان، وابنة ملك "أرزاوا"[72]، وعلى الرغم من أنه لا يُمكن أن تُعزى هذه الزيجات الأجنبية بالكامل إلى إجراءات لمواجهة الطاعون؛ لأن مثل هذه الزيجات السياسية قد حدثت قبل عهد أمُنحتب الثالث، إلا إن عدد الملكات الأجنبيات لأمُنحتب تجاوز القاعدة بكثير[73]؛ مما يفتح المجال لمزيد من التكهنات.

وعلى ما يبدو أن العديد من الرُّضع والأطفال الصغار لقوا حتفهم خلال النوبة الأولى من الطاعون -التى ربما حدثت خلال فترة انقطاع تسجيل الأحداث من العام الثاني عشر إلى العشرين- لذلك فإنه بحلول العام الثلاثين من عهد أمُنحتب شهد نقصاً حاداً في النساء اللاتي في سن الإنجاب، ولمواجهة ذلك أعفى أمُنحتب الأطفال والنساء اللواتي كن قد نجين من النوبة الأولى من الطاعون من دفع الضرائب، ووصلت أعمارهن إلى سنوات الإنجاب، حتى يتمكن من الزواج وإنجاب الأطفال[74]، وحتى يصبحن آمنات مالياً بما يكفي للزواج من الرجال الذين ما كانوا ليتمكنوا من إعالة الزوجة والأطفال؛ وذلك لتحفيزهم على الزواج للمساعدة في إعادة زيادة سكان مملكته[75].

علاوة على ذلك فقد واصل أخناتون ممارسة زواج المحارم من بناته، فقد تزوج من ثلاث من بناته وهن ابنته الكبرى "مري آتون"، وابنته الثانية "مكت آتون" وابنته الثالثة "عنخ إس إن آتون" التي ستتزوج لاحقاً أيضاً من أخيها غير الشقيق "توت عنخ آمون"، وربما كانت هذه الزيجات ضمن الإجراءات المتخذة ضد جائحة الطاعون، والحاجة إلى إعادة تكوين أسرة ملكية بدماء نقية[76].

8- ما تعكسه بردية لندن

تذكر بردية "لندن الطبية" [77]، التي تؤرخ في عام 1350 قبل الميلاد تقريباً، أن "مرضاً آسيوياً" قد أثر بالفعل على مصر[78]، وتتضمن سبع تعويذات، بلغات أجنبية، منها "لغة كيفتو" ***Keftjw***، لاستخدامها ضد العديد من الأمراض[79]، وتُشير إلى أعراض يُمكن أن تنسب إلى الطاعون الدبلي، مثل البقع السوداء، والبول الأحمر الدموي[80]، وقد أطلقت عليه "المرض الكنعاني أو الآسيوي (العامو) "بسبب المكان

الذي نشأ فيه، أو ببساطة؛ لأن كل شيء ضار كان يميل القدماء إلى إلقاء اللوم على أسباب خارجية، حيث تُنسب البردية العدوى إلى "شيء يدخل من الخارج"، ويصور كشخصية شيطانية؛ في السياق نفسه على سبيل المثال فإن مرض الزهري أطلق عليه شكسبير "المرض الفرنسي"[81]، بينما أطلقت فرنسا عليه "المرض الإيطالي"، وأطلق عليه الهولنديون "المرض الإسباني"، وأطلق عليه الروس "المرض البولندي"، وأطلق عليه الأتراك "المرض المسيحي"، أو "المرض الفرانكي (الفرنسي)"[82]، وكما هو الحال في ظل جائحة كورونا الحالية فقد أطلق عليها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بأنه "الوباء الصيني".

9- ما تعكسه التنقيبات الحديثة على وجود الأوبئة

أكدت الدراسات الحديثة أن انتشار الأمراض يسهّله ارتفاع الكثافة السكانية مع اكتظاظ المساكن، وعدم وجود منافذ للتهوية الجيدة، وسوء الصرف الصحي، والتخلص من النفايات بطريقة غير صحية؛ بالإضافة إلى العوامل المُناخية والبيئية، إلى جانب ممارسات الدفن التي ضمنت بقاء ثروة كبيرة من الهياكل الأثرية، والسجلات المنقوشة، والأجسام المحفوظة نتيجة لعمليات التحنيط؛ كل ذلك ساهم مع وجود التقنيات الطبية الحديثة في دراسة هذه البقايا البشرية، وتقديم أدلة جديدة حول أنماط الأمراض، ومعرفة أنواع الأمراض الوبائية التي أصابت المصريين القدماء[83]. ويمكن إجمالها فيما يأتي:

الطاعون

إن مصطلح الطاعون يعني في اللاتينية "الضربة" أو "الجرح"، وهو مرض معد تُسببه بكتيريا "يرسينيا بيستيس Yersinia pestis"، نسبة إلى عالم الجراثيم "ألكسندر يرسين"، وتنتشر البكتيريا الخاصة به من خلال الأوعية الليمفاوية، حتى تصل إلى العقدة الليمفاوية؛ مما يؤدي في النهاية إلى تورمها، وتُسمى هذه الغدد الليمفاوية المنتفخة "buboes" المشتقة من المصطلح اليوناني "bubo"، ومعناها "تورم الغدة"، ويُعد

الطاعون الدبلي هو أحد مظاهره المتعددة، وغالباً ما تبدأ بالحمى وقشعريرة والتهاب الغدد الليمفاوية، وإذا تمكنت البكتيريا من شخص يُمكن أن ينتقل الطاعون الرئوي من شخص لآخر [84].

وعلى الرغم من أن معظم الباحثين يعتبر أن آسيا هي مهد هذا الوباء، فإن بعض الدراسات الحديثة تُشير إلى أن "الطاعون الدبلى" ربما نشأ أيضاً في مصر القديمة، فقد بحثت عالمة الحشرات القديمة "إيفا باناجيوتاكوبولو Panagiotakopulu Eva" في الأمراض التي أصابت قرية العمال في العمارنة، واكتشف بكتيريا الطاعون الأسود في بقايا البراغيث المتحجرة، كأول دليل من أصل غير آسيوي للطاعون القاتل[85]؛ حيث تم اكتشافها داخل بيوت العمال وحولها، ويُمكن الاستنتاج من خلال مجموعة متنوعة من الأدلة أن التعايش بين فئران النيل والطفيليات والبشر في المراكز الحضارية، بالإضافة إلى التجارة الخارجية مع آسيا وإفريقيا والبحر المتوسط، إلى جانب فيضانات النيل؛ كانت عوامل مثالية لإنتشار الفئران التي تقوم بنقل الطاعون إلى المجتمعات الحضارية، كما لاحظت "باناجيوتاكوبولو" أن الظروف المعيشية السيئة لعمال القبور كانت بيئة خصبة لانتشار البراغيث، والبق، والحشرات الأخرى، وانتشار الطفيليات؛ الأمر الذي يُفسر أسباب هجر العمارنة كعاصمة ومركز لعبادة آتون[86]. فتقول "باناجيوتاكوبولو" :

> "إن فئران النيل لن تموت بسبب المرض، لكنها ناقل جيد عندما تتعرض الفئران السوداء للعض من البراغيث وينُقل لها المرض بسهولة، والتي تستطيع نشره للمسافرين عبر السفن التجارية، الذين ينشرون بدورهم المرض أيضاً" [87].

ومن ثم تقترح "باناجيوتاكوبولو" أن الطاعون الدبلي انتقل إلى مصر عن طريق بعض الحيوانات الحاملة له مثل الفئران السوداء مع إحدى القوافل التجارية، التي يمكن أن تعيش أيضاً مع كثير من الحيوانات الأخرى مثل القطط، والخنازير، والكلاب، والحيوانات التي تأكل الفئران، لا سيما أن المصريين كانوا مغرمين بالقطط، وكانوا يعبدونها، ووجود العديد من النواقل المتوطنة المعروفة، والتلميحات المحتملة في عدد من الأدوية في بردية

لندن، والاهتمام بسخمت معبود الطاعون، بالتزامن مع تطوير عدد من الظواهر الثقافية الأخرى، يكفي لتعرف وجود طاعون في مصر[88].

ومن ثم فقد ارتكزت دراسات "باناجيوتاكوبولو" حول وجود مضيف الوباء (الفئران السوداء) في مصر وتوافر عوامل وجوده واتصاله بالبشر[89].

الملاريا

إن الأحوال المعيشية في العواصم الكبيرة في مصر والأناضول في نهاية العصر البرونزي المتأخر قد تكون مناسبة أيضاً لانتشار الملاريا المتوطنة[90].

ولقد أجرى العديد من العلماء دراسات حول إمكانية وجود الملاريا في مصر من خلال أدلة الحمض النووي (DNA)، ووجدت إحدى الدراسات علامات جينية إيجابية لسلالتين مختلفتين من الملاريا (Plasmodium falciparum) في أنسجة جثة توت عنخ آمون المحنطة؛ مما يوحي أنه كان مصاباً بالملاريا بشكل ملحوظ في وقت وفاته، كما أظهرت نتائج الاختبار إيجابية الإصابة لاثنين من أفراد الأسرة المالكة (تويا ويويا) بالملاريا، وبالمثل تأثر العامة في مدينة العمارنة بالملاريا، ووفقاً لدراسة أجرتها "Nicole Elizabeth Smith" فحصت بقايا الهيكل العظمية من المقابر الجنوبية في العمارنة لمعرفة أنماط انتشار الملاريا خلال الفترة بين 1349 و1332 قبل الميلاد، وقد برهنت الآفات الباقية على الجثث وجود عدوى الملاريا على حوالي نصف السكان[91]، وأظهرت التحليلات ارتفاع الوفيات بين النساء والأطفال، مع انخفاض أنماط الدفن الطبيعية، خاصة بين النساء[92]، التي تنسجم مع نماذج انتشار الملاريا المتوطنة، فمن المعروف أن الملاريا تتعايش مع العديد من الأمراض المُعدية الأخرى، مثل السُل والزحار (الإسهال الدموي)، التي تؤدي لزيادة معدل الوفيات، كذلك يُشير الارتفاع الكبير في مُعدل الوفيات بين الأطفال في سن الثانية تقريباً إلى وجود حالات فقر الدم الناجم عن الملاريا الحادة، والملاريا الدماغية لدى الأطفال الذين يفقدون مناعة الأمهات بعد الفطام؛ ومن ثم إذا كانت الملاريا متوطنة في العمارنة، فمن الممكن أن تفتح الباب بسهولة لمثل هذه المتلازمات العالية للوفيات[93].

التولاريميا

في الآونة الأخيرة، طرح "Trevisanato" أن المرض كان "التولاريميا" وليس الطاعون؛ حيث تحدث الإصابة بداء التولاريميا بواسطة "الفرنسيسيلة التولارية Francisella Tularensis " [94]، التي تنقلها الحيوانات (القوارض)، وبدورها تنقلها إلى البشر، وتنتج عنها تكوينات متقرحة من الغدد، وغالباً ما يُساء تشخيصها على أنها طاعون، وفقاً لـ "Trevisanato"، انتشرت التولاريميا من كنعان إلى مصر حوالي 1715 قبل الميلاد ،ثم حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ،والذي ابتليت به بلاد شرق البحر المتوسط بأكمله، وامتد من قبرص إلى بلاد النهرين، ومن كنعان إلى سوريا وغرب الأناضول[95].

أحداث الوباء خلال عصر العمارنة

يُمكن تتبع أحداث الوباء الذي أصاب مصر خلال فترة حُكم أمُنحتب الثالث وأخناتون من خلال ما تم عرضه من شواهد. فقد حكم أمُنحتب الثالث لمدة 38 عاماً من عام (1405 – 1367 قبل الميلاد) تقريباً، وشملت تسجيلاً دقيقاً لأعماله، ما عدا مدة ثماني سنوات من السنة الثانية عشرة إلى العشرين من حكمه. إذاً ما الذي يُمكن أن يتسبب في فجوة 8 سنوات في تسجيل الأحداث التي وقعت في عهد أمُنحتب الثالث؟

كما ذكرنا سابقاً، لم يخض أمُنحتب أي حروب كبرى كانت ستؤدي إلى قتل أعدادٍ كبيرة من الشباب، كما أنه لم يتم غزو مصر خلال فترة حكمه، حتى وإن حدث فإنه لا يُمكن أن يؤدي إلى مقتل العديد من النساء والأطفال والحرفيين، ولم تكن هناك مجاعات كبيرة أيضاً، ومن ثم يُمكن تفسير جميع الأدلة باعتبارها وباء أو أوبئة من نوع ما من الطاعون المعدي لتفسير هذه الخسائر في الأرواح بين الرجال والنساء والأطفال، ونقص الحرفيين المهرة.

وقد رجح بعض الباحثين أنها فترة انتشار الطاعون المحتمل الذي أصاب مصر[96]،

وخلال تلك الفترة أقدم الملك على العديد من الإجراءات الاحترازية، التي تعكس أحداثاً استثنائية تلقي بظلالها على وباء منتشر في البلاد.

فكان الإجراء الأول هو نقل مكان إقامته بعيداً عن النيل والأماكن الزراعية إلى منطقة صحراوية في "ملقطة"، بعد إدراكه أن أحد أسباب انتشار المرض هي الفئران السوداء، إلا أن الحجر الصحي الذي فرضه الملك على نفسه وعائلته الملكية، لم يؤت ثماره؛ فقد حدثت النوبة الثانية من الطاعون حوالي العام السابع والعشرين من حكم أمنحتب الثالث، وهو ما يُفسر وجود مقبرة الدفن الجماعية التي عثر عليها "ريند Rind" ، ومع ارتفاع معدل وفيات بين النساء قام أمُنحتب الثالث بإعفائهن من الضرائب وجعل نفسه إلهاً وتزوج من ابنتيه قبل عامه الثلاثين[97]، ومن قبل ذلك أقدم على الزواج من الأميرات الأجنبيات.

إلا أنه لم يُدرك بأن إحضار المزيد من الزوجات الأجنبيات سيجلب له الوباء إلى داخل قصره، فربما لم ينتبه أمُنحتب الثالث أن موت "جيلوخيبا" -الأميرة الميتانية- على الأرجح كان بسبب الطاعون، والتي تم إحضارها في خلال العام العاشر، وبعد تلك الفترة بوقت قصير حدث الانقطاع في تسجيل الأحداث من العام الثاني عشر تقريباً، لذلك طلب عروسة ميتانية جديدة (EA 24-17 : 19) دون اكتراث لما حدث، ولنا أن نتخيل إذا ما ماتت زوجة فرعون من الطاعون، فما هو حال العامة في مصر؟![98].

كما أن الملك أمُنحتب الثالث نفسه عانى من أمراض كثيرة، فمن خلال فحص المومياء(المنسوبة له) فقد مات أمُنحتب في سن الخمسين تقريباً[99]، وتُشير إلى أنه عانى من أمراض مختلفة في عظامه؛ مثل: التهاب المفاصل، والالتهابات في الأسنان (مثل التسوس، وورم الأسنان، والخُراجات) [100]، وكذلك بعض التشوهات؛ مثل: حنف (أعوجاج) القدم الخلقي، أو بسبب شلل الأطفال، والتهاب المفاصل التنكسي المزمن، مع ضعف المناعة، والتهاب في العمود الفقري[101].

لذلك شرع إلى إحياء بعض المعبودات المرتبطة بالشفاء؛ فأمر بنحت مئات من التماثيل الحجرية لمعبود الوباء سخمت[102]. كما تم استدعاء تمثال "عشتار" معبودة "نينوى"،

للسحر وعلاج الأمراض مثل الطاعون، للسفر إلى مصر، حيث أرسل تُشرتا ملك ميتاني تمثالاً Šawuška " شاوشكا/ عشتار " (EA 23:26-31) ربما لشفاء الملك[103]، وكان سفر تماثيل المعبودات بين القصور، وتوسل الملوك والصلاة لها، أمر متعارف عليه في تلك الفترة، لا سيما عندما يفشل الأطباء[104].

علاوة على ما سبق، يشير "ألدريد" إلى أن كثيراً من الأميرات من أبناء أمُنحتب الثالث قد متن صغيرات، لدرجة أنه بعد وفاة الملك بخمسة عشر عاماً فقط لم يبق من نسله المباشر (العصب) أحد[105].

وفي السنوات الأولى من عهد أخناتون ربما حدثت نوبة أخرى[106]؛ وهو ما تعكسه رسائل العمارنة؛ حيث تؤكد أن هذا الوباء أصبح جائحة، وانتشر في العديد من المدن الرئيسة في الشرق الأدنى القديم. ففي رسالة من ملك ألاشيا (قبرص) لأخناتون يعتذر له فيها عن إرسال كمية صغيرة من النحاس، بسبب الوباء الذي قضى على عدد كبير من عُمال المناجم في بلاده:

" هأنذا أرسل إليك خمسمئة (حِمل) من النحاس، أرسلها هدية سلام إلى أخي! لا تزعج نفسك لأن كمية النحاس هذه قليلة؛ لأن يد الإله نرجال[107] في بلادي قتلت- يا سيدي- رجال بلادي كلهم، لم يعد هناك أي عامل في النحاس. . . " (EA 35:10-15).

إن إشارة ملك قبرص إلى المعبود "نرجال" تعني أن الناس كانوا يموتون من غير سبب محدد للمرض[108]، وفي الرسالة نفسها يعتذر عن تأخر الرسل المصريين لديه، قائلاً:

" يا أخي لا تزعج نفسك لأن رسلك بقوا ثلاث سنوات في بلادي، لقد كان ذلك بسبب وجود يد الإله نرجال في بلادي، حتى في بيتي نفسه، لقد كان لزوجتي ابن، وهو الآن ميت، يا أخي " (EA 35: 35-40).

وبناء على ما سبق يتضح أن الوباء الذي أصاب ألاشيا كان مُعدياً، ومُدمراً للغاية؛ لدرجة أنه قتل جميع رجال ألاشيا، ومن ثم فقدان القوى العاملة في الزراعة، أو التعدين؛

الأمر الذي سيؤدي حتماً إلى مجاعة[109].

كما تُشير رسالة من أحد قادة القوات المصرية-غير معروف- في بلاد الشام إلى "رب عدى" حاكم جُبيل إلى انتشار وباء في مدينة صُمُر - مركز الإدارة المصرية في شمال بلاد الشام- فيذكر:

"فيما يتعلق بما قلت: لن أسمح بدخول أهل مدينة صُمُر إلى مدينتي؛ لأن ثمة وباء في مدينة صمر" (EA 96:6-11).

وتعكس هذه الرسالة محاولة رب عدى فرض حجر صحي حول مدينته لمنع انتقال الوباء لها، وفي رسالة أخرى من رب عدي لأخناتون ينفي فيها وجود وباء في مدينته قائلاً:

" فيما يتعلق بما قيل أمام الملك: هناك وباء في البلدان ليت الملك، سيدي لا يصغى إلى كلمات الرجال الآخرين. ليس هناك وباء في البلدان. إنها سليمة من زمن" (EA 362 : 46-50).

وتعكس هذه الرسالة الحرص المصري في معرفة كل ما يتعلق بانتشار هذا الوباء لمحاصرته، وفرض الحجر الصحي على المدن المصابة، لذلك فإن رب عدي يُحاول نفي وجود هذا الوباء في مدينته، ويعتبرها وشاية من أعدائه حتى يتم محاصرته، حتى لا يتحصل على الدعم العسكري المصري الذي ألح في طلبه مراراً وتكراراً، ومن ثم فإن رد رب عدي حول عدم وجود الوباء في مدينته مشكوك فيه، لا سيما أنه ينظر لمصلحته فقط، ومما يؤكد ذلك أنه هو الذي أخبر بوجود الوباء في صُمُر(EA 96 : 6-11).

وفي رسالة أخرى من "بيريديا"، حاكم مجدو، يُخبر فيها الفرعون أن مدينته محاصرة من قبل "لبايا" (حاكم شكيم) وأن مدينته انتشر فيها الطاعون، فيقول:

"المدينة ملأى بالموت، بالطاعون، بالغبار . . . " (EA 244 : 30-35).

والجدير بالذكر أن البلاد التي أشارت إليها رسائل العمارنة في بلاد الشام كبؤر لانتشار

المرض؛ كانت مراكز لطرق التجارة القديمة، ومرور القوافل التجارية والدبلوماسية[110]. هذا بالإضافة إلى العلاقات التجارية مع قبرص[111]. (شكل 1) وإذا وضعنا في الاعتبار النشاط الدبلوماسي والتجاري في هذا التوقيت، والعدد الكبير المصاحب للمبعوثين أو الزوجات الملكيات[112]، ومرورهم عبر هذه المدن المصابة بالمرض، وربما الاستراحة بها بعض الوقت، بالإضافة إلى أن من واجبات الحكام المحليين استقبال الوفود الأجنبية وتأمينها، سواء القوافل التي تنقل العروس الملكية، أو التجار والمبعوثون الأجانب، وتزودهم بالمؤن، فإن احتمالية الإصابة بالمرض ونقله إلى مصر أمر مرجح.

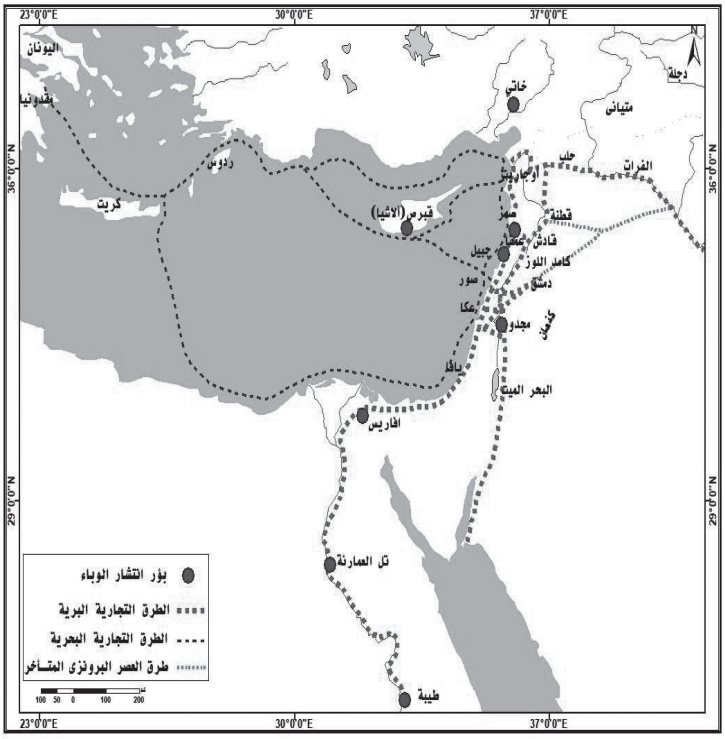

(شكل 1): الطرق التجارية ومناطق انتشار الوباء خلال عصر العمارنة[113]

وبناء عليه؛ أدرك أخناتون أن السبب الحقيقي في نقل هذا الوباء هو هؤلاء الأجانب، لا سيما بعد وفاة الأميرة البابلية بالطاعون، كما يتضح من رسالة "بورنابورياش" ملك بابل إلى أخناتون ذكر فيها:

" بعد أن رثيت زوجة أبيك، أرسلت إليك خوآ رسولي... الترجمان... كتبت لك قائلاً: ابنة الملك التي ماتت كانت قد أُخذت لأبيك، فليأخذوا واحدة ثانية لك، وأنت أرسلت خامشي رسولك و... ميخوني الترجمان قائلاً: زوجة أبي رثيت... هذه التي..... تلك المرأة..... لقد ماتت بوباء " (EA 11 : 5–15).

ووفقاً لترجمة "ريني Rainey" فإن زوجة أمُنحتب الثالث ماتت بالطاعون في مصر[114]. وفي إجراء احترازي لمواجهة هذا الوباء امتنع أخناتون عن استضافة المبعوثين الدبلوماسيين، كما جرى العرف، بل إنهم واجهوا إهمالاً متعمداً وصل في بعض الحالات إلى احتجازهم، وقد اقترح الباحث أن فترة الانتظار ربما تصل إلى أربعة أشهر[115]، ومن ثم يُمكن افتراض أنها كانت فترة للحجر الصحي؛ للتأكد من خلو هؤلاء المبعوثين من أي مرض قبل لقاء الملك.

ومما يُدعم ذلك إشارة بردية لندن إلى تعويذة بلغة "الكيفتو" في الإشارة إلى دول بحر إيجه، حيث كان يوجد العديد من تُجار هذه البلاد في مصر[116]. فقد أشارت إحدى رسائل ملك ألاشيا إلى الملك أخناتون أن من بين هؤلاء التجار تجاراً من ألاشيا، والذي توفي أحدهم في مصر نتيجة لإصابته بهذا الوباء، حيث طلب من أخناتون رد ممتلكات هذا الرجل إلى رسوله، لا سيما أن الرسل قد اعتادوا السفر بأمتعتهم، وحمل أموالهم المعدنية لتغطية نفقات السفر، والمعاملات الاقتصادية (EA 35 : 30–34).

ومع استمرار تفشي هذا الوباء قام أمُنحتب الرابع– وفقاً لاقتراح عدد من العلماء– بتغيير اسمه إلى أخناتون ،وتحول لعبادة آتون ،في إشارة إلى فشل جميع المعبودات القديمة في حماية مصر من الطاعون ،ونقل قصره الملكي إلى موقع بِكر في العمارنة[117]، التي ظلت العاصمة لمدة 17 عاماً فقط (1332–1349 قبل الميلاد)، والجدير بالذكر أنه ظل فيها ولم يخرج منها، باعتبارها حجراً صحياً له، ومع ذلك فحتى التغير والنقل المفاجئ للعاصمة لا يبدو أنه منع انتشار الأمراض الوبائية، ومن ثم ربما تم تفسير انتشار الطاعون من قبل المعارضين لأخناتون ودعوته الجديدة، على أنه عقوبة أرسلتها المعبودات القديمة لتجاهلها، وربما هي التي جلبت نهاية عبادة آتون، والعودة إلى الممارسات الدينية

التقليدية، والتخلي عن العمارنة[118].

وخلال الفترة ما بين العامين 11 و 17 من عهد أخناتون تعددت الوفيات بين أفراد العائلة المالكة بشكل مفاجئ؛ فقد توفيت أم الملك "تي" والزوجة الملكية الكبرى "نفرتيتي"، والأميرات "مريت آتون" و"نفر نفرو رع"، كما توفيت "مكت آتون"، الابنة الثانية لأخناتون في سن الحادية عشرة تقريباً، وتم إحياء ذكرى ذلك من خلال تصوير حزن العائلة الملكية في قبرها الملكي[119]. كما اختفت شخصيات مهمة أخرى من المشهد، مثل "كيا" زوجة أخناتون الثانية، كذلك فإن وفاة توت عنخ آمون المفاجئة، وفي سن صغيرة كانت محل نقاش حول سبب وفاته؛ حيث تُشير أدلة الحمض النووي في الآونة الأخيرة إلى توطن الملاريا[120]، ويبدو أن المدافن الجماعية في منطقة العمارنة توحي بوفيات جسيمة، ووفقاً لـ"دودسون Dodson" :

> "أنه يُمكن اعتبار احتفال السنة الثانية عشرة مُنَاسبة ملائمة لتفشي وباء الطاعون في العمارنة؛ ومن ثم يُمكن اقتراح أن الوباء قد نقله مندوبو السنة الثانية عشرة إلى مصر" [121] (شكل 2).

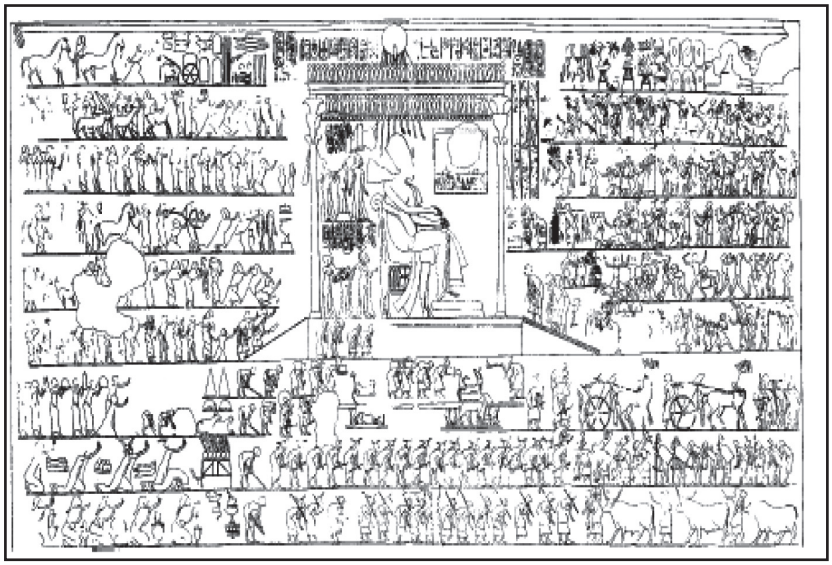

شكل (2): تقديم الجزية في حفل عام 12 من مقبرة ميري الثاني في العمارنة[122]

مما سبق يتضح أنه كان من الممكن أن ينتقل مثل هذا الوباء إلى العمارنة، وكذلك منها إلى أماكن أخرى خارجها في نهاية تلك الفترة، بسبب زيادة التفاعلات الدبلوماسية والعسكرية بين الممالك والوفود الأجنبية من جميع القصور الملكية، التي أحضرت الجزية والهدايا لمصر[123].

لذلك يقترح البعض أن العمارنة كان لها دور في انتقال هذا الوباء إلى الحيثيين[124]، لا سيما أن الملك الحيثي مرشيلي الثاني (1321 – 1295 ق. م) يصف الطاعون الذي أصاب الملك شوبيلولوما الأول (1322–1350 ق. م) وابنه أرنوندا الثاني بأنه عقاب إلهي بعد مهاجمته أراضي مصرية، في خرق لقسم معاهدة "كورستاما" مع المصريين[125]، بعد مقتل أحد أبنائه المدعو "زانانزا"، وهو في طريقه للزواج من إحدى بنات الملك أخناتون (ربما زوجة الملك توت عنخ آمون، عنخ إس ان أمون)، التي كتبت إلى الملك الحيثي، تطلب الزواج من أحد أبنائه (المعروفة بقضية داخمونزو Daḫamunzu)[126].

وقام بعض العلماء بتفسير ذلك –استناداً إلى الرواية الحيثية– بأنه بعد وفاة أخناتون تم التخلي تماماً عن العمارنة؛ مما أدى إلى تشتت شاغليها إلى أقاصي الإمبراطورية، وربما إلى الحدود المصرية الحيثية، جنباً إلى جنب مع تشتت المواطنين جاء إعادة نشر الجيش المصري خلال عهد "حور محب" لإعادة النفوذ المصري[127]، ومن ثم فإن أي مرض وبائي كان موجوداً في العمارنة يُمكن أن ينتشر أيضاً في جميع أنحاء الإمبراطورية المصرية، ووفقاً لصلاة مورشيلي الثاني فإن هذا الوباء نقله سجناء مصريون، احتجزوا بعد معركة تلت حصار "عمقا" في سوريا، واستمر في إلحاق الأذى بالحيثيين لمدة عشرين عاماً[128].

في الواقع يجد الباحث مشكلة في الرواية الحيثية، التي اعتمد عليها أمرين من الباحثين الأجانب، حول انتقال الوباء الحيثي عبر الأسرى المصريين، ويمكن تحديد المشكلة في أمرين رئيسين: (1) التتابع الزمني لوقت إصابة شوبيلولوما الأول بالطاعون، ووقت حملته على "عمقا" من جانب، وإعادة انتشار الجيش المصري في عهد حور محب وحملته على بلاد الشام من جانب آخر (2) الوجود المصري في المكان الذي هوجم والتابع لمصر.

فيما يتعلق بالقضية الأولى، المرتبطة بتزامن حملات الملك شوبيلولوما الأول مع

ملوك مصر- والتي كانت موضوع نقاش العديد من الباحثين- حيث تتزامن ما تعرف بالحرب السورية الأولى مع العام5-6 من عهد أخناتون التي استمرت تقريباً لثلاث سنوات [129]، وبعد ضم الحيثيين للممتلكات الميتانية في سوريا قامت حدود مشتركة بين مصر وخاتي، وكان لابد من تنظيمها عبر معاهدة لم تصل لنا نصوصها بين شوبيلولوما الأول وبين أخناتون- على الأرجح- لتنظيم العلاقات بين الدولتين[130]، ومن نتائج ذلك تبادل الرسائل الودية، وتبادل الهدايا[131]، ومناقشة بعض الأمور ذات الاهتمام المشترك بين الطرفين في سوريا[132]. أما الحرب السورية الثانية؛ فقد بدأت بحصار كركميش وقت وفاة أخناتون أو بعدها ببضع سنوات[133].

ومن ثم هناك عدم تناسق زمني بين وصف الأحداث الموضحة في الرسالة: EA 170) (29-14[134] التي تتناول أخبار حصار الملك شوبيلولوما لعمقا، مع وقت إرسال الملكة المصرية الرسالة إلى شوبيلولوما بعد وفاة الملك المصري المدعو "نبوخوريا Nibḫururiya"، الذي لا يزال محل نقاش بين المرشحين الثلاثة المحتملين: "أخناتون" و"سمنخ كارع" و"توت عنخ أمون" [135]. ومن المرجح كما يقترح "ريدفورد أنه توت عنخ آمون[136]. حيث يتطابق اسمه الشخصي "نب خبروري" مع "نبوخوريا" [137] كما أنه مع موته المفاجئ فقط كانت نهاية الخط الملكي[138].

ومما سبق يتضح من الرسالة EA 170 أن حصار "عمقا" حدث ومازال أخناتون على قيد الحياة، لذلك يؤرخها "كتشن" إلى السنة الخامسة عشرة من حكم أخناتون[139]، وهو ما تؤكده الرواية الحيثية نفسها من أن هجوم الحيثيين الأول على عمقا لم يكن رد فعل على مقتل الأمير الحيثي:

"عمل الإله العاصفة لخاتي الالتزام المفروض على رجال خاتي ورجال مصر، كلاهما أدى اليمين بإله العاصفة لخاتي، ورجال خاتي عادوا إلى رشدهم وأخذوا المبادرة، وبسرعة رجال خاتي خالفوا القسم الذي قطعوه إلى الإله... أبي أرسل قوات وعربات فضربوا أرض عمقا على حدود مصر" [140].

ومن ثم يعد خرقاً للمعاهدة، لذلك حاول الكاتب الحيثي الخلط بين أحداث حصار عمقا ورسالة الملكة المصرية، والتي يجب تأرخها بعد وفاة توت عنخ أمون، حيث أشارت الملكة إلى موت الملك وانقطاع نسله من الذكور[141]؛ ومن ثم هناك فاصل زمني بين حصار عمقا، الذي يسبق وفاة توت عنخ أمون بما لا يقل عن عشر سنوات، ويبدو أن الهدف الرئيس من هذا الخلط هو محاولة لتبرير هجومهم الأول على عمقا.

ومن ثم يُمكن إعادة ترتيب الأحداث كما يلي: إن الملك الحيثي شوبيلولوما الأول كسر المعاهدة المصرية الحيثة بمهاجمته لأرض عمقا، خلال نهاية عهد الملك أخناتون. وخلال الفترة الانتقالية التي شهدتها مصر في أثناء حكم الصغير توت عنخ أمون حاول استعادة قادش بحملة فاشلة[142]، كما يذكر شوبيلولوما:

"لقد كنت أنا نفسي أكن لكم الود والصداقة ولكن أنتم اقترفتم شراً في حقي، جئتم وهاجمتم قادش" [143].

فأرسل الملك الحيثي حملة أخرى على عمقا كما يذكر قائلاً: **"وللمرة الثانية أرسل قواته (شوبيلولوما) فهاجمت رجال مصر"** [144]، في نفس التوقيت مات توت عنخ أمون، لذلك يذكر النص الخوف المصري: **"وخاف رجال مصر فجاؤوا ولديهم رغبة شديدة أن يحصلوا على ابن من أبي لملكية مصر"** [145]. فأرسلت الملكة المصرية الرسالة تقول فيها:

"لقد توفي زوجي، وليس لي ابن يقولون: إن لك كثيراً من الأبناء، فإذا أرسلت لي بأحد أبنائك فإنه سيصبح زوجاً لي فأنا لا أرغب في الزواج من أحد رعاياي".

ويبدو أن هذه الرسالة أثارت قلق الملك الحيثي، فحاول التأكد من صحة الرسالة لخوفه من الانتقام المصري رداً على مهاجمته لعمقا، ومحاولة أسر أحد أبناؤئه، لذلك أرسل يتأكد[146]، إلا أن مشروع الزواج فشل في النهاية لاغتيال الأمير الحيثي[147]، ووقعت أصابع الاتهام على مصر، لا سيما أنه توجد رسالة مبهمة من أحد الملوك المصريين- ربما الملك "أي" [148]- إلى شوبيلولوما ينفي فيها تورط المصريين في مؤامرة قتل ابنه[149]،

على الرغم من ذلك قاد شوبيلولوما هجوماً لأرض تخضع للنفوذ المصري بالقرب من عمقا انتقاما لابنه.

ومع ذلك فإن الاحتكاك المباشر بين الحيثيين والمصريين المفترض – وفقاً للرواية الحيثية– كان قبل أن يتولى الملك حور محب مقاليد الحكم في مصر، ولم يتزامن معه (انظر شكل 3)؛ ومن ثم فإن ادعاء انتقال مرض الطاعون من المصريين الذي انتشر في العمارنة قبل هجرها إلى الجنود الحيثيين أمر يصعب تصديقه؛ للفارق الزمني بين هجر العمارنة – أحد مراكز الوباء– وإعادة محاولة السيطرة على بلاد الشام في عهد حورمحب، – كما جادل شولمان– كما لا يتفق زمنياً مع وفاة شوبيلولوما الأول؛ حيث يُمكن تأريخ حملة حور محب إلى العام السابع من عهد مورشيلي الثاني، التي ترتبط بثورة نوخاشي[150] على النفوذ الحيثي بدعم من مصر[151].

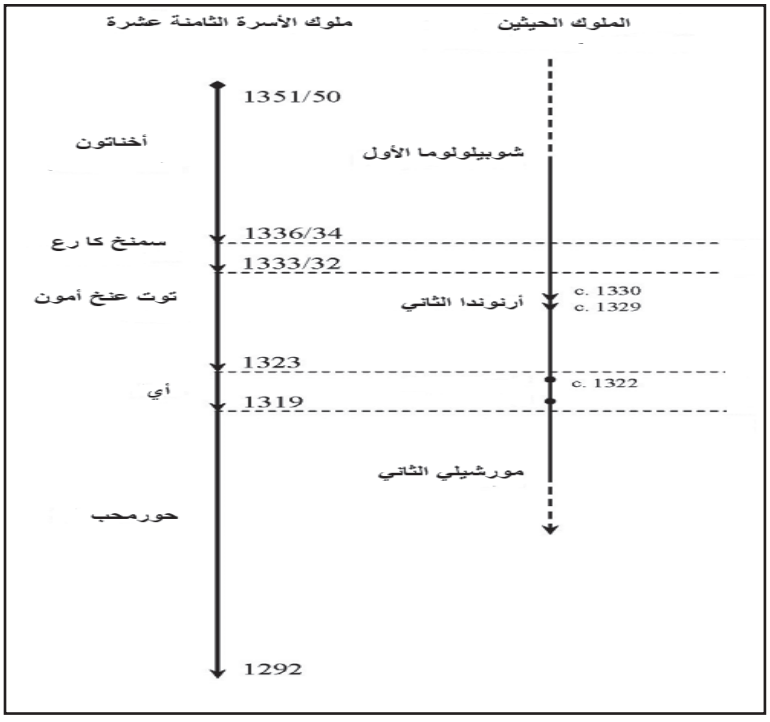

شكل (3): التتابع الزمني بين ملوك النصف الثاني من الأسرة الثامنة عشرة والحيثيين[152]

أما افتراض احتمالية مهاجمة شوبيلولوما الأول لأرض تابعة لمصر(ربما بالقرب من عمقا) (انظر شكل 1) بعد مقتل ابنه مباشرةً، وأسر عدد كبير من الأسرى المصريين المصابين بهذا الوباء، والذين بدورهم قاموا بنقله للحيثيين، بما فيما ذلك الملك الحيثي وولي عهده؛ فأمر يصعب تصديقه لأن الوجود المصري خلال عهد الملك أخناتون كان قد انخفض بشكل كبير؛ حيث إن الوجود المصري في الحاميات العسكرية كان لا يتجاوز 20 – 40 فرداً، بل إن بعض الحاميات المصرية التي أنشأها تحتمس الثالث تم هجرها تماماً،(على سبيل المثال حامية جُبيل، وأولازا)[153]، وانحصر الوجود المصري في المراكز الرئيسة للإدارة المصرية في بلاد الشام وهي صُمُر، وكامد اللوز (أُوبي)، وغزة[154]، ومع تزايد الضغط الحيثي وتحريضهم للأمراء الكنعانيين ضد النفوذ المصري، اضطر الملك أخناتون إلى التخلي عن صُمُر، ووضعها تحت سلطة "عزيرو" ملك مورو 1345 – 1315 قبل الميلاد، وسحب القوات المصرية، ونقلها إلى غزة[155].

أما منطقة كامد اللوز (أُوبي) وهو المكان المُحتمل بأنه الأقرب لمهاجمته؛ فإنها كانت تخضع لإدارة "بخورا" –أحد المفوضين الملكيين المصريين– ويُمكن أن نستنتج من رسائل العمارنة أنه كان يعتمد بشكل رئيس على عناصر "السوتين" و"الخابيرو"[156] في الدفاع عن تلك المنطقة؛ ومن ثم كان التواجد المصري في أدنى صوره خلال تلك المرحلة، وكذلك يبدو أن بخورا انسحب قبل مهاجمة الجيوش الحيثية بقيادة "لوبكي Lupakki"[157]خلال الحرب السورية الثانية.

ومما سبق يتضح أن الحديث عن الأسرى المصريين الذين حملوا الوباء إلى أرض خاتي، رواية لا يمكن قبولها؛ فقد خلطت الرواية الحيثية بين حدث سابق (حصار عمقا الأول) وحدث لاحق (مقتل زانانزا)، كمبرر لمهاجمة الحدود المصرية، بل إنه يحاول تبرير هجومه الأول على عمقا بأنه رد فعل للهجوم المصري على قادش، ولكن في الحقيقة فهو يدعي كذباً أن قادش أرض تابعة له، حتى يتفادى غضب الألهة الحيثية لكسر قسم

معاهدة "كوروستاما" ، التي اعترف مورشيلي الثاني بأن الحيثيين هم من بدؤوا بانتهاك تلك المعاهدة[158].

والجدير بالذكر أن هذا الأمر ليس مستغرباً؛ فقد كان الملوك في العصور القديمة دائمي البحث عن مبرر لأفعالهم واخفاقاتهم، ودائماً ما يتم نسبها إلى العدو الأول لهم، فعلى سبيل المثال نسب المصريون الوباء خلال عصر الهكسوس إلى كنعان، بل وصف المصريون الهكسوس بأنهم "طاعون" ؛ ومن ثم فلا يوجد شيء يدعو للاستغراب إذا نسب الحيثيون هذا الوباء إلى مصر، وكما هو الحال في وقتنا الحالي – كما سبق ذكره– فقد وصف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب – لاعتبارات سياسية– في حديثه عن وباء كورونا بأنه "الوباء الصيني" .

على الرغم من أن الرواية الحيثية يصعب تصديقها، إلا أنها ألقت الضوء على حقيقة انتشار وباء الطاعون في أرض خاتي لمدة عشرين سنة، بل يُمكن اقتراح أن بلاد خاتي كانت أحد مصادر نقل الوباء للمناطق التي تحولت إلى بؤر له؛ وذلك لطبيعة البيئة المضطربة فيها، وتكرار انتشار المجاعات، التي نجد صداها في بعد الإشارات في فترات لاحقة[159]، أو لطبيعة العلاقة النشطة بين خاتي وقبرص[160]؛ حيث كانت الأخيرة إحدى المناطق الرئيسة للوباء وفقاً لرسائل العمارنة. هذا، بالإضافة إلى وجود بعض الرسائل بين الملك تودخاليا الثاني / الثالث 1350–1400 قبل الميلاد(والد شوبيلولوما الأول) وبعض الحكام، تُشير إلى انتشار الطاعون، والمجاعة في بعض المناطق في خاتي[161]، فضلاً عن استخدام الملك شوبيلولوما الأول للطاعون كسلاح بيولوجي في بعض المعارك عن طريق حقن بعض الحيوانات؛ مثل الخنازير، والحمير، والفئران، ضد مملكة أرزاوا[162].

ومن ثم يُمكن القول: إن حملات شوبيلولوما الأول على سوريا قد أسهمت بشكل كبير في انتشار المرض في سوريا وليس العكس، ومنها انتقل إلى مصر (شكل 4).

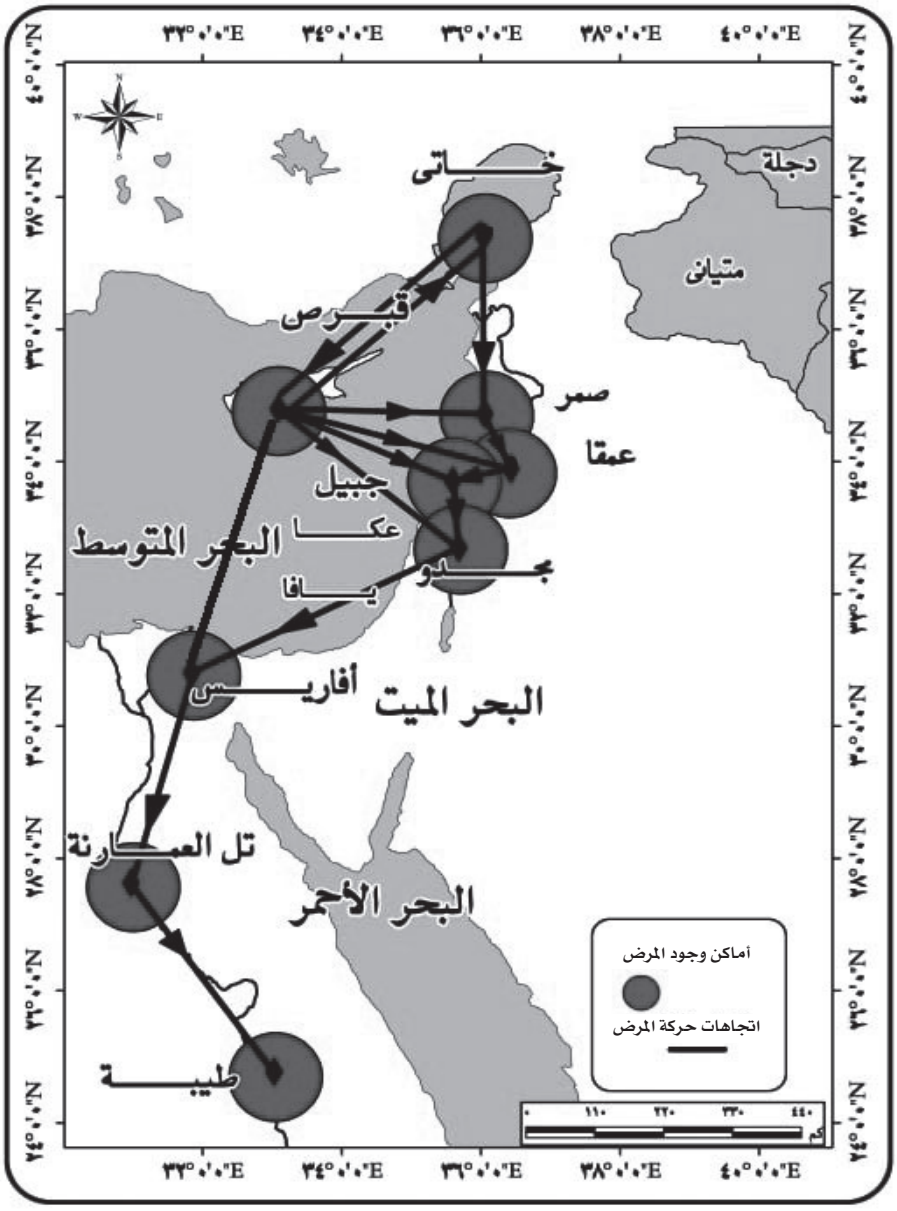

شكل (4) : الاتجاهات المقترحة لحركة انتشار الوباء خلال عصر العمارنة

النتائج

من خلال إلقاء الضوء على الأوبئة خلال فترة الدراسة تبين: أن انتشار الأوبئة في مصر منذ عصر الانتقال الثاني أسهم في مزيد من التحولات على جميع الصُّعد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، فقد تسبب في خراب عدد من المُدن المصرية ذات الكثافة العالية؛ مما أدى إلى هجر الحرفيين من سكانها، وتسبب في تغييرات ملحوظة في النشاط الديني، والعسكري، وفي الإنتاج والأساليب الفنية (على سبيل المثال أفاريس وتل العمارنة فيما بعد).

وقد تسببت الأوبئة في ذعر كبير للسكان أدى بهم للانتقال من المواقع المصابة (طيبة) إلى مناطق قد تكون خالية من الأوبئة؛ ومن ثم تأسيس مدينة العمارنة في مكان بكر، لم يُسكن قبل ذلك، وشهدت تلك المرحلة ممارسة الدفن الجماعي بين السكان المتناقصين الذين يحتاجون إلى التخلص من أعداد كبيرة من الجثث، كما تُقدم المقابر الجماعية أدلة على حدوث الوفاة الجماعية، بسبب حرب أو وباء، وبما أنه لم تشهد فترة العمارنة حرب كبيرة، فيتجلى الوباء كسبب بارز.

وفي الحياة الدينية، تسببت الأوبئة في هجر المعتقدات القديمة، ودعم معتقدات جديدة، وبالتالي انهيار الطوائف الدينية البارزة (أمون) وصعود طوائف جديدة (آتون)، كما تغيرت العروض الفنية من حيث الأسلوب والموضوع بعد نوبات الطاعون المتكررة؛ حيث أصبحت الموضوعات الفنية أكثر روحانية. وفي هذا السياق، كان لابد من تقديم المزيد من المحفزات والإعفاءات الضريبية لتشجيع الزواج كجزء من الجهود المبذولة لتجديد تعداد السكان.

إن موت كل من أمُنحتب الثالث، وأخناتون المفاجئ في نهاية العقد الرابع من عمرهما أمر يدعو لمزيد من التساؤلات، في ظل عدم تحديد دقيق لمومياواتهما لمزيد من الدراسة، ربما تعطي الأدلة والإشارات السابقة مزيد من الضوء حول مسألة وفاتهم، لا سيما أن الوباء انتشر بشكل واضح في القصر الملكي، سواء في ملقطة أو العمارنة، وتوفي

على أثره العديد من زوجات الملوك سواء جيلوخيبا الميتانية أو الأميرة البابلية، أو العديد من الأميرات من أبناء أمُنحتب الثالث والرابع، بما في ذلك زوجاتهم تي ونفرتيتي، فشهدت بداية العام الثاني عشر حتى العام السادس عشر من عهد أخناتون وفاتهم جميعاً، بما في ذلك سمنخ كارع، ومن بعده توت عنخ أمون بوقت قصير.

لقد انصب تركيز علماء الحشرات حول وجود المضيف للوباء، وإن كنت أظن أن وجود المضيف ليس سبباً كافياً؛ لأنه ببساطة وجود المضيف (على سبيل المثال الفئران السوداء) موجودة في مصر في كل العصور، ولا يُمكن أن نؤسس لأسباب انتشار وانتقال الوباء السريع من الحيوان إلى الإنسان لمجرد وجود الفئران، بينما يُمكن القول بأنه كانت إصابة العائلة الملكية بشكل مباشر بهذا الوباء، ربما تقدم لنا تفسيراً تاريخياً بعيداً عن الأسباب البيولوجية؛ فتشير الأدلة إلى أن زيادة التفاعلات الدبلوماسية خلال فترة العمارنة قد أسهمت في انتقال الوباء من مراكز انتشاره في بلاد الشام، وبحر إيجه إلى مصر، وهو ما أوضحته برديات إبريس ولندن، ومراسلات العمارنة.

وختاماً، كان انتشار وباء الطاعون في المملكة الحيثية يُعد حلقة من حلقات انتشاره في العديد من بلدان الشرق الأدنى القديم؛ باعتبار الحيثيين إحدى القوى الفاعلة في تلك الحقبة الزمنية، ولا يمكن الاعتماد على الرواية الحيثية في اتهام مصر بأنها المُسبب لانتقال هذا الوباء لهم. بل على العكس من ذلك، ربما نجد أنفسنا أمام ما ورد من إشارات خلال عهد تودخاليا الثاني حول وجود الطاعون في أرض خاتي، أو الاستخدامات غير الشرعية للحرب البيولوجية لملك شوبيلولوما الأول، مضطرين لاتهام خاتي بأنها مصادر انتقال الوباء إلى سوريا ومصر.

الهوامش والمراجع

(1) وفقاً لسفر الخروج، تم إلحاق عدد من الضربات بمصر لإجبار الفرعون على تحرير العبرانيين من العبودية، الذي كان موضوع جدل كبير بين المؤرخين حول ما إذا كان حساب تلك الضربات مجازياً أو تجميعاً للذاكرة للكوارث الطبيعية، أو سلسلة من الأحداث التي حدثت بالفعل، والتي بدأت بالتغييرات المُناخية والبيئية؛

حيث يُشير سفر الخروج (9: 12–8) أن الطاعون السادس جلب أمراضاً جلدية مزعجة (ربما يكون أحد أعراض بعض الأمراض الوبائية) إلى المصريين وماشيتهم، ويمكن أن يكون ناتجاً من انتقال المرض المذكور في الطاعون الخامس من الماشية إلى البشر. ويشير الطاعون العاشر إلى أنه قُضي فيه على أبناء المصريين (**الخروج** 11: 1– 36: 12)، للمزيد انظر: (**الخروج** 1: 7-1؛ 7: 24-20؛ 12-8:8؛ 15-8:12؛ 20-8:16؛ 9:3-35).

(2) **القرآن الكريم**، سورة الأعراف، آية: 133.

(3) - Rosalie, A.. "Illness from Afar: Epidemics and Their Aftermath Pharaoh's Land and Beyond", in Ancient Egypt and Its Neighbors. P. Creasman and R. H. Wilkinson (eds.), **Oxford University Press**, 2017, p.283.

(4) - Goedicke, H. "The Canaanite Illnes". **SAK 11**, 1984, p.91-92; Assman, J., *The Mind of Egypt: History and Meaning in the Time of the Pharaohs*. Cambridge. 2003, p. 224;Bardinet, Th., "Remarques sur les maladies de la peau, la lèpre, et le châtiment divindans l'Égypte ancienne", **RdE 39**, 1988, p.3.

(5) - Sethe, K. *Urkunden der 18. Dynastie***: Bearbeitet und Übersetzt**, Leipzig: J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung, 1963, IV, 1547, 15; Faulkner, A. **A Concise Dictionary of Middle Egyptian**, *Alten Agypter: Der Papyrus Ebers*, III,Oxford, 1991, p.9-10; Wreszinski, W.: *Medizin der* Leipzig: 7, 1913, p.16.

(6) - A Concise Dictionary of Middle Egyptian, p.9.

(7) - Leitz, C. *Tagewählerei: dasBuch ḥ't nḥḥ pḥ.wyḏt und verwandteTexte***. Ägyptologische Abhandlungen 55**, Wiesbaden: Harrassowitz, 1994, 205.

(8) - Sass, D. *Slaughterers, Knife-Bearers and Plague-Bringers*, Sydney. MacquarieUniversity, 2014, p.67.

(9) - "Illness from Afar: Epidemics and Their Aftermath Pharaoh's Land and Beyond", p.284.

(10) يحتوي هذا العدد المنشور في هذه الدراسة عدداً من المقالات المهمة التي تناولت بالتفصيل انتشار الأوبئة عبر العصور التاريخية.

(11) - Gestoso, G. S."Beyond Amarna: The "Hand of Nergal" and the Plague in the Levant",*UF* **48**, 2017, p.229.

(12) - Panagiotakopulu, E."Pharaonic Egypt and the origins of plague". **JBio,** 2004, p.31, 269.

(13) - "Illness from Afar", p.283.

(14) داليو، كريستيانو: **الطب عند الفراعنة**، ترجمة: إبتسام محمد عبد المجيد، مراجعة: نبيل عبيد، علي رضوان، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013، ص 14.

(15) - "The Canaanite Illnes", p.93-94.

(16) إن بردية "هيرست" هي دليل طبي يحتوي على 260 فقرة، تصف الأمراض والعلاج والتعويذات ذات الصلة، فتذكر أمراضاً متنوعة للغاية تشمل الجسم كله؛ مثل الآلام العامة، والإمساك، واضطرابات الأوعية الدموية، وكسور العظام، واللدغات، وما إلى ذلك. وتصف الفقرة 170 (العمود 11 ، الأسطر 15–12) من النص مرضاً معدياً يُنسب إلى الآسيويين، وتشير هذه الفقرة إلى مرض معدٍ (ينتقل من الجسم إلى الجسم)، ويتميز بالحرق الداخلي؛ حيث تتحول الأجسام إلى فحم، في حين لم يتم ذكر الفتك صراحة في هذا البردي، راجع:

- Trevisanato, Siro I."Did an epidemic of tularemia in Ancient Egypt affect the course ofworld history?". Medical Hypotheses 63, 2004, p.905-906.

(17) - "The Canaanite Illnes", p.93-94.

(18) - "Pharaonic Egypt and the origins of plague", p.269.

(19) - "Did an epidemic of tularemia", p.910.

(20) هي بردية حصل عليها المدعو "سميث" من إحدى الأسواق بالأقصر عام 1862م، وتوجد الآن في الأكاديمية الطبية في نيويورك، وقام "برستد" بنشرها عام 1930م، وتحتوي على 48 حالة من حالات الجروح، والأمراض الجلدية وغيرها، انظر: الطب عند الفراعنة، ص30–29؛ كمال، حسن: **الطب المصري القديم**، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص463 وما بعدها.

(21) - Győry, H. "J'dt rnpt or the 'Pestilence of the Year'", in Pharmacy and Medicine in Ancient Egypt: Proceedings of the Conferences Held in Cairo (2007) and Manchester (2008), J. Cockitt and Rosalie D., (eds.). Oxford, 2010, p.81.

(22) - "Did an epidemic of tularemia", p.906.

(23) - "The Canaanite Illnes", pp.93-94.

(24) - Trevisanato, Siro I. "The biblical plague of the Philistines now has a name, tularemia". Medical Hypotheses 69, 2007, pp.1144–1146.

(25) - "The Canaanite Illnes", p.104.

(26) - "The Canaanite Illnes", p.105.

(27) - Trevisanato, Siro I.: "Treatments for burns in the London Medical Papyrus show the **first** seven biblical plagues of Egypt are coherent with Santorini's volcanic fallout". Medical Hypotheses 66, 2006, pp.193–196.

(28) - "Did an epidemic of tularemia", pp.905-906, 910.

(29) - Bietak, M. "The center of Hyksos rule: Avaris (Tell el-Dab'a)". The Hyksos: new *Historical* and archaeological perspectives. Oren Eliezer (ed). Philadelphia: The University Museum, .University of Pennsylvania, 1997, 91 ff

(30) - "Did an epidemic of tularemia", pp.906.

(31) - "Illness from Afar", p.275.

(32) - "The center of Hyksos rule", p.92.

(33) - Boessneck, J. "Tell El Dab'a III Die Tierknochenfunde 1966-1969". (Untersuchungen Des Osterreich Archaologischen Institut (UZK), Abt.S.Akademie Der Wissenschaft, Cairo, 1976, p.121.

(34) **التكوين** (47 : 1 - 11)، كما يُشير سفر **الخروج** (1 : 8 – 22) إلى احتجاز العمال العبرانيين في "رعمسيس" و"بيثوم" ثم أعطوا مهام غير إنسانية، كما تعرض أطفالهم الذكور لمذبحة، في حين إن المدينتين لم يتم تحديد موقعيهما بشكل ثابت، فمن المقرر أن يكون كلا الموقعين في شرق الدلتا بسبب اختفاء الأنهار التي عبرها العبرانيون أثناء النزوح من مصر، علاوة على ذلك يشير اسم رعمسيس إلى موقع قريب من الفرع الشرقي لأقصى دلتا، تم التخطيط لاحقاً لبلدة تدعى برعمسيس (أي بيت رعمسيس) وبناؤها بجوار أطلال أفاريس حوالي عام 1300 قبل الميلاد من قبل "رعمسيس الثاني" خلال الأسرة التاسعة عشرة، عن مدينة برعمسيس، انظر: مهران، محمد بيومي: **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، جـ1، مصر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص38 - 41.

(35) - Trevisanato، "Did an epidemic of tularemia"، p. 907.

(36) تسجل بردية بروكلين (هي سجل وجيز من عهد سوبك حوتب الثالث 1700 قبل الميلاد)، على أحد جوانبه 95 من العبيد والخادمات، الذين تم نقلهم من الدلتا إلى جنوب مصر، وهي أسماء عبرية، مثل (هايمي) و(هايابي إيلو) و أيوبوم (أيوب)، وويفر مناحيم، انظر: William C. Hayes، *The Brooklyn Museum*، 1972, p.124.

(37) - Mazar, A. *Archaeology of the land of the Bible 10,000-586 B.C.E.*. Doubleday, 1990, 188.

(38) - Hoffmeier, J., *Israel in Egypt: the evidence for the authenticity of the exodus tradition*. Oxford University Press, 1999, pp.62-65.

(39) - Warren, P. "Minoan Crete and Pharaonic Egypt". *Egypt, the Aegean and the Levant.Interconnections in the second millennium BC.*, V. Davies, L. Schofield (eds.), London, 1995,1-18; Bietak, M., "Connections between Egypt and the Minoan World: New Results from Tell el-Dab>a/Avaris", in *Egypt, the Aegean and the Levant. Interconnections in the second millennium BC.*, V. Davies, L. Schofield (eds.), London, 1995, pp.19-28.

(40) على سبيل المثال – بالقياس نفسه– ظهر الطاعون القاتل الذي بلغ ذروته في أوروبا عام 1347– 1348م لأول مرة في الموانئ حيث كانت سفن "جنوة" تعود إلى الوطن من شبه جزيرة القرم؛ وبالمثل كان يُمكن للتجار من كنعان الذين ينقلون البضائع عبر صحراء سيناء، أو عبر سفن تدخل الميناء، يمكنها بسهولة إدخال المرض إلى أفاريس، راجع:

Trevisanato, "Did an epidemic of tularemia", p.908.

(41) - The center of Hyksos rule، p. 126.

(42) ميناء أفاريس أطلق عليه "برو نفر *Prw-nfr* " ميناء الإبحار الجميل، كما يُرجح بيتاك وله دور مهم كحلقة وصل بين مصر وشرق البحر المتوسط، للمزيد انظر: النادي أبو العز، محيي الدين: "تجارة اللاّزورد وأثرها على علاقات مصر بممالك شرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة القديمة" ، **مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب**، العدد 18، 2017، 645-644.

- Bietak, M. "Peru-nefer; The Principal New Kingdom Naval Base". **Egyptian Archaeology 34**, Millennium BC: 2009, pp.15-17; id, "Harbours and Coastal Military Bases in Egypt in the 2nd Avaris – Peru-nefer – Piramesse," in: the Nile: Natural and Cultural Landscape in Egypt, H. Willems & J.-M. Dahms (eds.), Bielefeld, 2017: Transskript Verlag, pp.53-70.

(43) - "Did an epidemic of tularemia", pp.908-909.

(44) - "Illness from Afar", p.275.

(45) - "Did an epidemic of tularemia", p.910.

(46) - "The Canaanite Illnes", pp.103-104.

(47) للمزيد من التفاصيل حول الدور المصري في بلاد الشام خلال عصر العمارنة يمكن الرجوع :

- Abo-Eleaz, M.-E.: "Neglect and Detention of Messengers in Egypt during the Fourteenth and Thirteenth Centuries BCE", **JARCE 54**, 2018, pp.29-31; id, "Guilty or not Guilty? An investigation into the accusations of Syria–Palestine vassals against the Egyptian Royal Commissioners in the Amarna letters", *ZDPV* 137/1 (2021), forthcoming.

(48) - Liverani, M. **"The Great Powers' Club".** *Amarna Diplomacy: The Beginnings of International Relations*, (eds.) R. Cohen and R. Westbrook, Baltimore: 2000, pp.24–26; Podany, A *Brotherhood of kings: how international relations shaped the ancient Near East.* Oxford: Oxford University Press, 2010, pp.243–264; Mayes, A. **"International Diplomacy in the Amarna Age". in** *The Land of Canaan in the Late Bronze Age*, (ed.) Lester L. Grabbe, London: 2016, pp.152–153; Zaccagnini, C. **"The Interdependence of the Great Powers". in** *Amarna Diplomacy*, (eds.) Cohen and Westbrook, pp.144–146.

(49) Norrie, Ph. *A History of Disease in Ancient Times*. 2016, p.25.

(50) برايس، تريفور: **رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم المراسلات الملكية في العصر البرونزي المتأخر**، ترجمة: رفعت السيد علي، القاهرة: 2006، ص 164 – 167.

(51) - *A History of Disease*, p.25.

(52) - "Beyond Amarna", p.235.

(53) _ Kemp, B. "**An Unintended Social Experiment: Pharaoh Akhenaten at Amarna".** *Sickness, Hunger, War, and Religion Multidisciplinary Perspectives*, Michaela Harbeck (ed.),Kristin von Heyking, Heiner Schwarzberg, 2012/3, pp.12-13.

(54) كانت ملقطة مجمعاً من الطوب اللبن يقع على الضفة الغربية لنهر النيل بالقرب من طيبة، الواقعة على الضفة الشرقية لنهر النيل وجزء من مدينة الأقصر المعاصرة، وكانت ملقطة مقر إقامة أمُنحتب طوال الجزء الأخير من حكمه، ويعتقد أن أمُنحتب الثالث بدأ بناء قصر ملقطة خلال السنة الحادية عشرة من حكمه، وجعل هذا القصر المركز الإداري لمملكته ومقر إقامته، يُمكن الرجوع إلى :

Kozloff, A. "Bubonic Plague During the Reign of Amenhotep III ?". **KMT 17/3**, 2006, p.42.

(55) _ Kemp, B. **"Outlying temples at Amarna".** *Amarna Reports* **VI**, B. Kemp (ed.). London: Egypt Exploration Society, 1995, p.446.

(56) _ *The Mind of Egypt*, pp.224-225; "Bubonic Plague", p.31; Smith, N. E.: The*Paleoepidemiology of Malaria in the Ancient Near East*. Ph.D, dissertation, University of Arkansas, 2015, p.82.

(57) _ Stevens, A.**"Tell el-Amarna".** *UCLA Encyclopedia of Egyptology*. W. Wendrich (ed.). Los Angeles: University of California, 2016. pp.1-2.

(58) _ "Outlying temples at Amarna", p.447.

(59) _ *A History of Disease*, pp.33-4.

(60) _ Dodson, A., and J. Janssen. "A Thebian Tomb and its Tenants". **JEA 75**. 1989, pp.125–138.

(61) _ *A History of Disease*, pp.27-8.

(62) _ Kuckens, K. The Children of Amarna: Disease and Famine in the Time of Akhenaten, *Theses and Dissertations 888*. 2013, pp.2-7. http://scholarworks.uark.edu/etd/888.

(63) _ Kemp et *al.*: "Life, death and beyond in Akhenaten's Egypt: excavating the South Tombs Cemetery at Amarna", **Antiquity 87**, 2013, p.73.

(64) _ "Beyond Amarna", pp.236-237; *The Children of Amarna*, pp.15, 20.

(65) سخمت المعبودة اللبوءة، زوجة بتاح، المسؤولة عن الأوبئة، والأمراض، والشفاء، والانتقام، والغضب، والحرب، كما ذكرت سخمت في كل من بردية "إدوين سميث"، و "إبريس"، وكان ورودها في البرديات الطبية في إشارة لفحصها للمريض بجانب الطبيب، وهناك أكثر من سبعمائة تمثال للمعبودة سخمت في معبد أمُنحتب الثالث الجنائزي في "كوم الحتان" على الضفة الغربية، ومعبد "موت" في الكرنك على الضفة الشرقية في طيبة "Beyond Amarna", p.240 ;*The Mind of Egypt*, p.286

(66) _ "Bubonic Plague", p.36.

(67) _ *A History of Disease*, pp.30-31.

(68) _ "Bubonic Plague", p.43.

(69) – "Bubonic Plague", p.41, 44.

(70) كابرول، أنييس: **أمنحوتب الثالث الملك المعظم**، ترجمة: ماهر جويجاتي، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003، ص213 - 225.

(71) _ "Bubonic Plague", p.44.

(72) عن هذه الزيجات يُمكن الرجوع لمزيد من التفاصيل إلى وفاء أحمد بدار، ص88 – 105.

(73) _ *A History of Disease*, p.30.

(74) _ "Beyond Amarna", p.239.

(75) - "Bubonic Plague", p.44.

(76) - *A History of Disease*, pp.30-31.

(77) يسرد هذا النص الطبي 61 تشخيصاً وعلاجاً للأمراض التي تتعامل مع الجروح، والمشيمة، والعجز الجنسي، والحروق، وغيرها من الأمراض، يتعامل النص مع الأدوية الأجنبية، ويقتبس الأدوية بلغات لم يتم فك شفرتها بعد؛ مما يعقد فهم طبيعة المرض، وفي الفقرة 32 (العمود 11، السطور 4 – 6)، التي تشير إلى *3mw ‘t3nt*، مرض الآسيويين، للمزيد راجع:

- "Did an epidemic of tularemia", p.906; Leitz, C. *Magical and Medical Papyri of the New Kingdom*. Cambridge: 1999, pp.51-84.

(78) - "Did an epidemic of tularemia", p.906.

(79) - "Beyond Amarna", p.233-4.

(80) - "Illness from Afar", p.274.

(81) - "Beyond Amarna", p.240.

(82) - https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%87%D8%B1%D9%8A_(%D9%85%D8%B1%D8%B6) (30/07/2020; 12:22Am).

(83) - "Illness from Afar", 272-3.

(84) - "Beyond Amarna", 228.

(85) - Panagiotakopulu, E. "Fleas from pharaonic Amarna". **Antiquity 75**. 2001, p.499.

(86) - "Pharaonic Egypt in the origin of plague", p.270.

(87) - Panagiotakop, E. "Environment, Insects and the Archaeology of Egypt". *Beyond the Horizon: Studies in Egyptian Art, Archaeology and History in Honour of Barry J. Kemp, S.*, Ikram & A. Dodson (eds.). Cairo: 2009, pp.351-352.

(88) - "Pharaonic Egypt in the origin of plague", p.275.

(89) - "Environment, Insects and the Archaeology of Egypt", in *Beyond theHorizon: Studies in Egyptian Art, Archaeology and History in Honour of Barry J. Kemp, S.*, pp.351-352.

(90) - Smith. N. The Paleoepidemiology of Malaria in the Ancient Near East, Theses and Dissertations. 28, University of Arkansas, Fayetteville, 2015, p.87.

(91) _ The Paleoepidemiology of Malaria, pp.100-101.

(92) _ The Paleoepidemiology of Malaria, pp.91-93.

(93) – The Paleoepidemiology of Malaria, p.101.

(94) هي نوع من البكتيريا العصوية المكورة المسببة للأمراض، للمزيد راجع:
https://www.centerforhealthsecurity.org/our-work/publications/francisella-tularensis-fact-sheet
(18/70/2020, 7:24 Am)

(95) _ "Did an epidemic of tularemia", pp.908-909; id, "The Hittite Plague, an Epidemic of Tularemia and the First Record of Biological Warfare", **Medical Hypotheses 69/6**, 2007, pp.1371-1374.

(96) _ *A History of Disease*, p.20.

(97) _ "Beyond Amarna", p.239.

(98) _ "Bubonic Plague", p.36.

(99) اعتلى أمُنحتب الثالث العرش في سن الثانية عشرة تقريباً، وحكم حوالي 38 سنة، لذلك فمن المتوقع أنه مات في بداية العقد الخامس من عمره.

(100) ريدفورد، دونالد: **أخناتون ذلك الفرعون المارق**، ترجمة: بيومي قنديل، الإسكندرية: دار الوفاء، 2000، ص65.

(101) _ Gestoso, G. S. "Shaushka, the Traveling Goddess". **TdE 7**. 2016, p.53.

(102) _ Norrie, *A History of Disease*, 30-31.

(103) _ Forstner-Müller, I., W. Müller, K. Radner. "Statuen in Verbannung: gyptischer Statuenexport in den Vorderen Orient unter Amenophis III. und IV.". Ä&L 12. 2002, p.156.

(104) أرسل الملوك العظام المتخصصين، مثل الأطباء، المعماريين، والحرفيين، إلى القصور من أجل حلفائهم "Shaushka", pp.43-44.

(105) ألدريد، سيريل: **أخناتون**، ترجمة: أحمد زهير أمين، مراجعة: محمود ماهر طه، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص65.

(106) _ .Beyond Amarna", p.239"

(107) المعبود نرجال: "الرب الذي يجول في الليل" كان معبود الموت في بلاد النهرين، والوباء، والطاعون، والمرض، والحرب، وارتبط مع "رشيف" معبود الحرب والطاعون الكنعاني، وعبد في مصر أيضاً، كان لدى "نيرجال" قوى شيطانية يمكن أن تسبب الأمراض للأعداء، وتم استدعاؤه كمعبود للوباء خلال عهد الملك "شوبيلولوما الأول"، أو "سنوات الطاعون" "Beyond Amarna", Gestoso. 4-223.

(108) _ "Beyond Amarna", p.225.

(109) _ *A History of Disease*, p.33.

(110) أشارت رسائل العمارنة إلى أن القوافل التجارية كانت تمر عبر صُمُر وكامد اللوز ومجدو، انظر:
EA7: 73–78; 8: 30–33; 162: 65–77.

(111) تُشير رسائل العمارنة إلى العلاقات النشطة بين قبرص وجُبيل خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، انظر: EA 114:51-53;

(112) كان من المتعارف عليه في هذا التوقيت أن القوافل التجارية تصطحب معها السفراء، هذا، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخدم والجواري؛ حيث يشير النص (*Urk* IV، 1738) إلى أن جيلوخيبا اصطحبت معها من النساء 317، هذا بالإضافة إلى فرق الحراسة التي ترافق العروس الملكي (85–80 : 19 ؛ 18–13 : 11 EA).

(113) بتصرف من الباحث، نقلاً عن:

_ Hesse, K. J. **Contacts and Trade at Late Bronze Age Hazor: Aspects of Intercultural Relationships and Identity in the Eastern Mediterranean**. Department of Historical, Philosophical and Religious Studies, Umeå University, 2008, p.171.

(114) يترجم ريني المصطلح الأكادي *mūtānu* كتعبير عن كلمة وباء أو طاعون، راجع:

_ Rainey, A.F. *The El–Amarna Correspondence***: A New Edition of the Cuneiform Letters from the Site of El– Amarna Based on Collations of All Extant Tablets**. Edited by: William Schniedewind and Zipora Cochavi–Rainey, vols.1–2, Handbook of Oriental Studies, Brill: Leiden, 2015, p.1290.

(115) _ "Neglect and Detention of Messengers in Egypt", p.30.

(116) _ "Did an epidemic of tularemia", p.906; *Minoan Crete and Pharaonic Egypt*, p.2.

(117) _ "Bubonic Plague", p.43.

(118) – "Beyond Amarna", p.229.

(119) أخناتون، ص194.

(120) _ "Ancestry and pathology in King Tutankhamun's family". **JAMA 303**. 2010,: Hawass et *al.* pp.638–647.

(121) – Dodson, A. *Amarna Sunset: Nefertiti, Tutankhamun, Ay, Horemheb, and the Egyptian Counter-Reformation*, American University in Cairo, 2009, p.17.

(122) _ Morris, E.F. *Ancient Egyptian Imperialism*, Hoboken. John Wiley. 2018, p.254.

(123) _ *Brotherhood of kings*, p.243 ff.

(124) _ *Amarna Sunset,* p.17.

(125) Bryce, T. *The Kingdom of Hittites*, Oxford: 2005, p.193ff.

وهي معاهدة تم إبرامها بين مصر وخاتي خلال عهد الملك تحتمس الثالث أو أمُنحتب الثاني مع الملك الحيثي تودخاليا الأول أو الثاني، ونصت المعاهدة على نقل السكان من منطقة "كوروستاما" الحيثية إلى مصر، انظر:

_ Murnane, W. **The Road to Kadesh: A Historical Interpretation of the Battle Reliefs of**

King Sety I at Karnak (Studies in Ancient Oriental Civilization), No 42, Chicago: 1990, pp.31–38; Singer, I.: **"The Kurulʻtama treaty revisited", in:** *Šarnikzel. Hethitologischeb Studien zum Gedenken an Emil Orgetorix Forrer (19.02.1894–10.01.1986), Dresdner Beiträge zur Hethitologie 10*, E. O. Forrer, D. Groddek, S. Rössle (eds.), Dresden: 2004, pp.591–607; Breyer, F.: "Thutmosis III. und die Hethiter. Bemerkungen zum Kurustama-Vertrag sowie zuanatolischen Toponymen und einer hethitischen Lehnübersetzung in den Annalen Thutmosis III", **SAK 39**, 2010, pp.67–83; Sürenhagen: "Forerunners of the Hattusili-Ramesses treaty", **BMSAES 6**, 2006, pp.59–67.

(126) للمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى:

- Theis, C. **"Der Brief der Königin Daḫamunzu an den hetitischen König Šuppiluliuma I. im Lichte von Reisegeschwindigkeit und Zeitabläufen".** T. Kämmerer, ed., *Identities and Societies in the Ancient East-Mediterranean Regions: Comparative Approaches. Henning Graf Reventlow Memorial Volume.* Münster: 2011, pp.301-31.

(127) - Schulman, A. R. "ʿAnkhesenamūn, Nofretity, and the Amka affair". **JARCE 1978**, p.46

(128) - "Illness from Afar", p.283.

(129) - Cordani, V. "One-year or Five-year War? A Reappraisal of Suppiluliuma's First Syrian Campaign". **AoF 38**. 2011, p.2, 240.

(130) ريدفورد، دونالد: **مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة**، ترجمة: بيومي قنديل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013 ، ص258.

(131) تناولت الرسالة (EA 44 : 18–27) المرسلة من الأمير "زيتا" ابن الملك شوبيلولوما الأول تبادل الرسل، والهدايا بين الجانبين المصري والحيثي.

(132) تناولت الرسالة (EA 43 : 1–27) جريمة قتل ارتكبت بحق شخصية مهمة، والدعم الحيثي لابن القتيل البكر، وتثبيته على عرش أبيه، ربما في إشارة إلى مقتل الملك الميتاني "تُشرتا" على يد أحد أبنائه.

(133) - **Suppiluliuma in Syria after the first Syrian war: The (Non) Evidence of the** Amarna letters, Stefano de Martino — Jared L. Miller (eds.), New Results and New Questions on the Reign of Suppiluliuma I, 2013, pp.45-46.

(134) تصف العديد من رسائل العمارنة الحملات الحيثية بقيادة "لابكي"، ومعاونه أمير قادش "أتكما" على عمقا، (EA 176 7-13, EA 363 7-14, EA 174 11-17, EA 175 7-13) للمزيد من التفاصيل راجع:

- *Suppiluliuma and the Amarna Pharaohs: A study in relative chronology*, Liverpool::Kitchen, K. 1962, p.18, 32.

(135) - Miller, J. L.: "Amarna Age Chronology and the Identity of Nibḫururiya in the Light of a Newly Reconstructed Hittite Text", **AoF 34**, 2007, p.2, 252.

(136) - Redford, D.: *History and chronology of the Eighteenth Dynasty***: Seven Studies**, Toronto: 1967, p.159; "Ankhesenamun, Nofretity and the Amka affair", pp.43-44.

(137) رسائل العظماء، ص299.

(138) - Dodson, A.: Hilton, D., *The complete royal families of Ancient Egypt*, London: 2004, p.154.

(139) - *Suppiliuma*, p.18.

(140) - Singer, I.: *Hittite prayers*, edited by: Harry A. Hoffner, Society of Biblical Literature, Atlanta: 2002, p.58.

(141) بدار، وفاء أحمد: **صور من العلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم**، الإسكندرية: دار فاروس، 2018، ص 150 – 151.

(142) - *Amarna Sunset*, p.57.

(143) رسائل العظماء، ص304.

(144) - *Hittite prayers*, p.58.

(145) - *Hittite prayers*, p.58.

(146) صور من العلاقات الدولية، ص150 – 151.

(147) كلينغل، هورست: **تاريخ سوريا السياسي 300–3000 ق.م**، ترجمة: سيف الدين دياب، تدقيق: عيد مرعي، دمشق، 1998)، ص125؛ بدار، وفاء أحمد: **صور من العلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم**، ص150 – 154.

(148) - **Ay and The Daḫamunzu Affair, Master of Arts**, American Military: Jason A. Freewalt University, Charles Town, WV, 2017, pp.1-100.

(149) - *The road to Kadesh*, p.35.

(150) للمزيد عن هذه الثورة وارتباطها بالدعم المصري، راجع: النادي أبو العز، محيي الدين: "الهروب والنفي في سوريا خلال الألف الثاني ق.م"، **المؤرخ العربي**، القاهرة: 2016، ص33–32.

(151) - "The rebellion of Ḫatti's Syrian vassals and Egypt's meddling in Amurru", **SMEA**.**49**,: Miller, J.L. 2007, p.540.

(152) - "The rebellion of Ḫatti's Syrian", p.553.

(153) مصر وكنعان وإسرائيل، ص314، تشير عدد من رسائل العمارنة إلى الوجود حامية عسكرية في جُبيل وأولازا، انظر: (EA 51-49:81; 87-85:117; 14-10:121;18-11:122; 15-14:125; 25-21:130)

(154) - **ASAE** "The Administration of Syria Palestine During the New Kingdom",: Abdul–Kader, M. *3. und* **56**, 1959, pp.116–117; Helck, W.: *Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasien im Letters*, *2. Jahrtausend v. Chr.,* Wiesbaden: 1962, pp.48–52; Moran, W.: *The Amarna* Baltimore: 1992, pp.xxvi–xxvii.

(155) - *1100* Liverani, M.: *Prestige and Interest. International Relations in the Near East ca. 1600*

B.C. History of the Ancient Near East, 1. Padova: Tipografia Poligrafica Moderna, 1990, p.239; "Guilty or not Guilty? ", forthcoming.

(156) – Vidal, J.: **"Sutean Warfare in the Amarna Letters", in Studies on War in the Ancient Near East**. Collected Essays on Military History, J.Vildal (*ed.*), Münster: Ugarit–Verlag, pp.95–104.

(157) – **98,** Hachmann, R.: "Die ägyptische Verwaltung in Syrien während der Amarnazeit", *ZDPV* 1982, p.19.

(158) لقد اشتهر بعض الملوك الحيثيين بالبحث عن مبرر لأفعالهم لتجنب غضب آلهتهم عليهم، فعلى سبيل المثال سعى شوبيلولوما الأول لإيجاد مبرر لحملاته على ميتاني مستنداً إلى طلب الدعم من الأمير الميتاني "شاتى وزا" الهارب، وكان مبرر مهاجمته الأراضي السورية طلب "نيقمادو الثاني" ملك أوجاريت الدعم منه ضد التحالف السوري (نوخاشي- نيا- موكيش)، وكانت أغلب العلاقات الدولية للملك خاتوشيلي الثالث (1267- 1237 ق.م) في محاولة لشرعنة مكانته بعد انقلابه على ابن اخيه مورشيلي الثالث (1267-1272 ق.م)، مثل معاهدة السلام مع مصر، وارتباط بناته بالزواج السياسي من ملوك مصر وبابل وأمورو، للمزيد من التفاصيل راجع:

النادي أبو العز، محيي الدين: "المصاهرات السياسية وشروطها الإلزامية في سوريا إبان السيادة الحيثية من 1350 – 1200 ق.م) ، أمورو وأوجاريت نموذجاً" ، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة المنيا، 2019، ص5 – 9؛ الصالحي، صلاح رشيد: "ملكات بابليات في البلاط الحثي المصاهرة والعلاقات السياسية بين ممالك الشرق الأدنى القدم في القرن الرابع عشر ق.م" ، **مجلة الأستاذ**، العدد 75، كلية التربية، جامعة بغداد، 2008، ص638؛ الصالحي، صلاح رشيد: **المملكة الحيثية: دراسة في التأريخ السياسي لبلاد الأناضول**، بغداد: 2011، ص256 – 257.

Wilhelm, G.: **"Suppiluliuma and the Decline of the Mittanian Kingdom", in:** *Qatna and the Network of Bronze Age. Globalism Proceedings of an International Confernce in Struttgart and Tubingen in October 2009*, P. Pfälzner & M. Maqdissi (eds.), Band 2, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden: 2015, p.70; Devecchi, E.: **Suppiluliuma's Syrian Campaigns in Light of the Documents from Ugarit**, in: *Proceedings of the International Symposium 'New Results and New Questions on the Reign of Suppiluliuma I', Munich, Sept. 19–20, 2011* (Eothen 19), S.de Martino/J.L. Miller (eds.), Florence 2013, 81–97; Abo-Eleaz, M.-E.: "Face to face: Meetings between the kings of Egypt, Ḫatti and their vassals in the Levant during the Late Bronze Age", **SAK 48**, 2019, p.16.

(158) يشير الملك مرنبتاح في أحد نقوشه في الكرنك إلى أنه أرسل شحنة من الحبوب إلى خاتي؛ مما يعكس الأزمات الإقتصادية والمجاعات التي واجهت المملكة الحيثية، للمزيد انظر

The Kingdom of Hittites, 331.

(160) للمزيد من التفاصيل حول العلاقات النشطة بين قبرص وخاتي يُمكن الرجوع إلى :

Güterbock , H. G.: "The Hittite Conquest of Cyprus Reconsidered, **JNES**, Apr., 1967, Vol. 26, No. 2, Apr., 1967, pp.73-81; Bernard Knapp, A.: "KBo 1 26: Alašiya and Ḫatti", **JCS32/1** , 1980, pp.43-47; Genz, H.: **Foreign Contacts of the Hittites, Insights into Hittite History and Archaeology**, Edited by Hermann Genz and Dirk Paul Mielke, Leuven; Walpole, MA : Peeters, 2011, p.320-1.

(161) – Hoffner: *Letters from the Hittite Kingdom*, Atlanta, 2009, p.187-8.

(162) – *World*, Oxford 2002, p.205. *Life and Society in the Hittite*: "The Hittite Plague, pp.1373-1374; Bryce, T.

الاختصارات الواردة في البحث

- *Ä&L*: Ägypten und Levante. Internationale Zeitschrift für ägyptische Archäologie und deren Nachbargebiete, Wien.
- *Antiquity*: Antiquity. Quarterly Rev. of Archaeol. (Newbury, Cambridge)
- *AoF*: *Altorientalische Forschungen*, Berlin.
- *ASAE*: Annales du Service des Antiquités de l'Égypte, Cairo.
- *BMSAES*: *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan*, London.
- *EA*: EL-Amarna Texts.
- *FCD*: Faulkner, A., A Concise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford, 1991.
- *JAMA*: Journal of the American Medical Association.
- *JARCE*: *Journal of the American Research Center in Egypt, New York.*
- *JBio*: *Journal of Biogeography.*
- *JCS*: Journal of Cuneiform Studies, Chicago.
- *JEA*: *Journal of Egyptian Archaeology,* London.
- *JNES*: *Journal of Near Eastern Studies*, Chicago.
- *KMT*: K.M.T. A Modern Journ. Of Anc. Egypt (San Francisco, Calif.)
- *RdE*: *Revue d'égyptologie*, Paris
- *SAK*: *Studien zur Altägyptischen Kultur*, Hamburg.
- *SMEA*: *Studi micenei ed egeo-anatolici,* Roma.
- *TdE*: Trabajos de Egiptologia esta producida por Isfet. Egiptologe a e Historia, Espana.
- *UF*: *Ugarit-Forschungen*. Internationales Jahrbuch für die Altertumskunde Syrien-Palästinas, Münster.
- *Urk*: Sethe, K., Urkunden der 18. Dynastie: Bearbeitet und Übersetzt. Leipzig: J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung.
- *ZDPV*: *Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins,* Stuttgart, Wiesbaden.

أبحاث التاريخ الإسلامي والوسيط